







مجلة
الجمعية التاريخية السعودية

المحتويات:

دورية علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن الجمعية التاريخية السعودية

العدد الثالث والأربعون / السنة الحادية والعشرون

ذو الحجة ١٤٤٢هـ/ يوليو ٢٠٢١م

مجلة الجمعية التاريخية السعودية

العدد الثالث والأربعون / السنة الحادية والعشرون









Journal of the
Saudi Historical Society

Contents:

A Refereed Academic Periodical

Issued by the Saudi Historical Society

43 th Issue / 21th Year

Dhu al-Hijjah.12,1442H./July,2021AD.

مجلة

الجمعية التاريخية السعودية

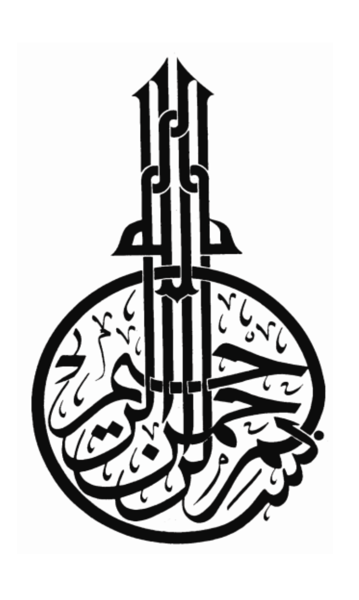
دورية علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن الجمعية التاريخية السعودية

الموقـع على الإنتــرنت والبـريد الإلكتــروني:

HTTP://SHS-KSA.COM/HOME/

shs.org.sa@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

توزع المجلة مجاناً على الأعضاء المشتركين
قيمة النسخة ٣٠ ريالًا

عنوان المراسلة:
الجمعية التاريخية السعودية/ جامعة الملك سعود
ص. ب: ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١
المملكة العربية السعودية
السكرتارية: هاتف وفاكس ٤٦٧٤٩٨٩

العدد الثالث والأربعون/ السنة الحادية والعشرون

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مجلة الجمعية التاريخية السعودية
١٧٤ص: ٢٤/١٧
رقم الإيداع ٣٠٨١ /٢٠ وتاريخ ١٤٤١/٥/١٥هـ
ردمد: ١٣١٩-٨٨٨٢ : ISSNN

تعبر الآراء الواردة في هذه المجلة عن وجهات نظر كاتبيها فقط

مجلة

الجمعية التاريخية السعودية

المحتويات:

نجران في التراث السرياني منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي: دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية

د. عوض بن عبدالله بن سعد بن ناحي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية العلوم والآداب- جامعة نجران

نجران في التراث السرياني منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي: دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية

د. عوض بن عبدالله بن سعد بن ناحي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد -كلية العلوم والآداب- جامعة نجران

مستخلص عربي:

تسعى الدراسة الحالية إلى تقديم قراءة نقدية موازية لتاريخ نجران من وجهة نظر نصرانية طوال حقبة زمنية تمتد لأكثر من ستة قرون؛ حيث تستقصي أسباب اهتمام المصادر السريانية بنجران ذلك الصقع البعيد عن محيطها الجغرافي، كما ستناقش بالتفصيل تصوير هذه المصادر السريانية لعلاقة السلطة الإسلامية بنصارى نجران خلال مرحلة الدراسة، ومدى اتفاق أو اختلاف المصادر السريانية مع المصادر الإسلامية حول ما تقدمه من روايات في تاريخ المنطقة. لكن السؤال الأهم الذي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنه يتمثل في ماهية المعلومات الجديدة التي تقدمها المصادر السريانية حول تاريخ نجران، ومدى قيمة تلك المادة التاريخية في الإجابة عن أسئلة لا تزال تبحث عن ردود شافية.

ستتناول الدراسة في البداية أهم المصادر السريانية المتوفرة، وأبرز ما يعتريها من مشكلات رئيسة، ثم ستنتقل إلى بحث علاقة نجران بالدولة الإسلامية في المدينة من وجهة نظر المؤرخين السريان سواء في العهد النبوي أو العصر الراشدي، مع مقارنتها بالمرويات التي تقدمها المصادر الإسلامية حول المرحلة نفسها. وستعالج الدراسة أوضاع نصارى نجران منذ العصر الأموي وحتى نهاية الدولة العباسية في ضوء ما دوّنته المصادر السريانية؛ لاستيضاح حقيقة الوجود غير الإسلامي، وخاصة النصراني في نجران، وتبيين مدى حجمه وعلاقته بالسلطات الإسلامية المتعاقبة في نجران، مع مقارنة ما تقدمه هذه المصادر من معلومات مع نظيرتها الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الرسول – نجران – سريان – نصارى – الإسلام – مصادر.

Najrān in Syriac literature from the rise of Islam until the end of Abbasid era: a critical study in the light of equivalent sources.

Dr.ʿAwad bin Abdullah bin Saʿad bin Nahee

Abstract:

The current study seeks to present a critical and equivalent examination on the history of Najrān from a Christian point of view during six centuries, from the Prophet Muḥammad's time to the collapse of the ʿAbbasīd Caliphate. The study will discuss the question of why Syriac sources are interested in Najrān despite this region being geographically far to Syriac people. It will consider how Syriac sources record the relationship between the Christian community in Najrān and Muslim authority, and to what extent Syriac sources agree with Muslim sources on such issue. The most important question is concerning the contribution of knowledge that is provided by Syriac sources to the history of Najrān.

The study will begin the discussion by evaluating the most important Syriac sources that are available in the present study and examine their problematic issues. It will debate the relationship between Najrān and the Muslim Authority in Medina during the Prophet Muḥammad and Rashidun Caliphate times as recorded by Syriac historians, with comparative examination to Muslim sources. Following that, the research will investigate the history of Christians in Najrān from the Umayyad period until the end of the ʿAbbasīd Caliphate in light of Syriac sources to recognize the non-Muslim existence, particularly Christianity, in Najrān, and to consider to what extent this non-Muslim existence was, and its relations with Muslim authorities that ruled Najrān region.

Key words: The Prophet- Najrān – Christians – Syriac – Islam – Sources

تمهيد *

لم يقتصر تأريخ المصادر السريانية لمنطقة نجران على تناول الحقبة المبكرة لتاريخ النصرانية في نجران وصولاً إلى حادثة الأخدود التي أفردت لها الكثير من صفحاتها[١]، بل إن اهتمام تلك المصادر بالمنطقة امتد إلى القرون الوسيطة من التاريخ الإسلامي. والحقيقة أن البحث التاريخي الحديث أبدى اهتماماً متصاعداً بنجران، وخاصة بعض الدراسات التي عُنيت بما كتبته المصادر النصرانية (السريانية- اليونانية - اللاتينية - الحبشية - العربية) عن نجران خاصة خلال المرحلة التي سبقت ظهور الإسلام[٢]. غير أن الطابع المشترك بين تلك

* يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير إلى جامعة نجران بالمملكة العربية السعودية ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعم هذا البحث (رمز البحث: NU/SHED/17/055) في جميع مراحل كتابته حتى إتمام كتابته.

(١) ومن تلك المصادر التي كُتبت خصيصاً عن تاريخ النصرانية في نجران "**رسالتي شمعون أسقف بيت أرشام**"، و"**كتاب الشهداء الحميريين**" لمؤلف مجهول، وكلاهما أُلف خصيصاً عن محرقة الأخدود. انظر:

Zachariah of Mitylene, ***The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene,*** Transl. Hamilton, F. & Brooks, E. (Methuen & Company, 1899), pp. 192-203. Anonymous, ***The Book of the Ḥimyarites***, Ed. And Transl. Axel Moberg, (Lund, Sweden: CWK Gleerup, 1924), pp. xcix – cxlvi. Anonymous, ***The Chronicle of Zuqnīn***, ***Parts III and IV: AD 488-775***: Translated from Syriac with Notes and Introduction, by. Amir Harrak, (PIMS, 1999), pp. 78- 85. Shahīd, *ʿIrfan,* **The Martyrs of Najrān: New Documents**, (Bruxelles: Soc. des Bollandistes, Bd. Saint-Michel, 1971)*, pp. 43- 64.*

(٢) من الدراسات المنشورة باللغة الإنجليزية كتاب لـ أ.د. عرفان شهيد عن "**شهداء نجران: وثائق جديدة**" (*The Martyrs of Najrān: New Documents*) والتي تحدث فيها عن المصادر النصرانية التي أرّخت لحادثة اضطهاد نصارى نجران، ومقالة له بعنوان "**بيزنطة في جنوب الجزيرة العربية**" (Byzantium in South Arabia)، ودراسة حديثة نسبياً لـ " نوربرت نيبيز" (Norbert Nebes) عن "**شهداء نجران ونهاية مملكة حمير**" (The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar). كما أبدت الدراسات العربية اهتماماً جيداً بما كتبته المصادر النصرانية عامة والسريانية على وجه الخصوص عن نجران، ومن أهم تلك الدراسات على سبيل المثال "**أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية**"، لصلاح أبو جودة اليسوعي، ومقالة عن "**ديانة شهداء نجران**" لـ أ.د. عائشة أبو الجدايل، ورسالة ماجستير للباحثة كوثر محمد سعيد بعنوان "**الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة**"، ومؤخراً كتب أ.د. عبدالعزيز رمضان مقالاً عن "**روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية**". للمزيد عن هذه الدراسات انظر:

Shahīd, *ibid,* pp.17 -276. Shahîd, Irfan. "Byzantium in South Arabia", ***Dumbarton Oaks Papers*** */ Dumbarton Oaks Center for Byzantine Studies*, 1979*,* pp. 23-94. Nebes,

الدراسات السابقة يتمثل في أنها أولت جُل تركيزها على مسألتي وصول النصرانية إلى نجران، وحادثة اضطهاد النصارى المعروفة في المصادر الإسلامية بقصة الأخدود، ثم تدخل الأحباش. وذلك لا يعني أن ثمة دراسة تناولت بعض ما كتبته الموارد السريانية عن نجران خلال المرحلة الإسلامية، إلا أن ذلك ظل محصوراً على قضايا محددة. فقد قدّم "جون بلوك" (C. Jonn Block) دراسة عن "النصرانية المنوفيزتية في جنوب الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام وانعكاساتها على الترجمة الإنجليزية لمفردة "الثلاثة" في القرآن" (Philoponian Monophysitism in South Arabia at the advent of Islam with implications for the English translation of 'Thalātha' in Qur'an)(١). ورغم اعتماد الباحث على الموارد السريانية في دراسة التاريخ المذهبي والعقدي لنصارى نجران منذ وصول النصرانية إلى نجران، إلا أن تلك المصادر تغيبت عند دراسته للمسألة نفسها عند ظهور الإسلام ونقاش قصة لقائهم بالرسول ﷺ.

ومؤخراً نشر "أحمد الوكيل" دراسة حديثة عن "معاهدة الرسول ﷺ مع نصارى نجران: دراسة تحليلية عن صحة العهود" (The Prophet's Treaty with the Christians of Najrān: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the

---

Norbert, "The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar: On The Political History Of South Arabia In The Early Sixth Century", ***The Qurʾān in Context***, (Brill, 2009), 25-60.

أبو جودة، صلاح أبو جودة اليسوعي، "أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية"، ***مجلة المشرق***، يناير ١٩٩٧، عدد١، ص ٨٣– ١١٥. أبو الجدايل، عائشة سعيد، "ديانة شهداء نجران قراءة جديدة للمصادر الأولية "، ***حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت***، الحولية ٢٥ (الرسالة ٢٢٢)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١١– ٥٧. علي، كوثر محمد سعيد، "***الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة***"، (رسالة ماجستير مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص ٩٦–٥٨٢. رمضان، عبدالعزيز محمد، "روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية"، دراسة نشرها أ.د. غيثان بن جريس ضمن: ***القول المكتوب في تاريخ نجران، الجزء الثامن عشر***، ط١، (الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م،)، ص ٣٤– ٦٢.

(1) Block, C. Jonn, " Philoponian Monophysitism in South Arabia at the Advent of Islam With Implications for the English Translation of 'Thalātha'in Qurʾān", 4. 171 and 5. 73, ***Journal of Islamic Studies***, 2012, 23, 50-75.

Covenants)[1]. وفيها ركز الباحث على تقديم دراسة مقارنة حول عهد وسجل النبي ﷺ لنصارى نجران في ضوء الروايتين الإسلامية والنصرانية كما سيأتي معنا في حينه.

وهكذا فإن توظيف المصادر السريانية في دراسة تاريخ نجران خلال المرحلة الإسلامية يكاد يكون محدوداً في قضية واحدة لا تتجاوز صحة عهود الرسول ﷺ لوفد نصارى نجران. ولذلك؛ فإن ثلاثة أسئلة رئيسة تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عنها، أولها يتعلق بأسباب هذا الاهتمام الذي أبدته المصادر السريانية النصرانية بنجران خلال العصر الإسلامي. أما ثاني هذه الأسئلة فيبحث في كيفية تأريخ هذه المصادر لعلاقة السلطة الإسلامية بنصارى نجران ومدى اتفاقها أو اختلافها مع الرواية الإسلامية التي سيطرت على تأريخ هذه المرحلة. لكن السؤال الثالث والأهم يتمثل في ماهية الجديد من المعلومات الذي تقدمه المصادر السريانية في تاريخ نجران، وإلى أي مدى ستسهم هذه المعلومات إن وجدت في الإجابة عن أسئلة مفتوحة تناولتها دراسات حديثة دون إجابات مقنعة. فمذهب نصارى نجران في السيد المسيح -عليه السلام- وهوية كنائسهم المذهبية، وقصة إجلائهم من نجران، وحجم وجودهم اللاحق ظلت مسائل شائكة تبحث عن إجابات واضحة.

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات؛ حددت الدراسة إطارها الزمني في مرحلة تمتد من عصر النبوة وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري الذي شهد سقوط الخلافة العباسية. صحيح أنها فترة زمنية طويلة قرابة سبعة قرون، لكن محدودية المعلومات والمصادر المتاحة، وارتباط القضايا التي تخص تطور علاقة سلطة الدولة الإسلامية بالمنطقة تجعل من الضروري دراسة كل هذه الحقبة الزمنية الطويلة في بحث واحد.

---

(1) El-Wakil, Ahmed, "The Prophet's Treaty with the Christians of Najran: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the Covenants", ***Journal of Islamic Studies***, Oxford University, 27:3, (2016), pp. 273–354.

إشكالية المصادر

وقبل الإجابة عن أسئلة هذه الدراسة، فإن سؤالاً لا يقل أهمية يتطلب منا التعريف بالمصادر السريانية للحقبة التي تتناولها الدراسة وتسليط الضوء على أهم ما يعتريها من إشكاليات وملاحظات. وأهم ما يمكن ملاحظته على المصادر السريانية لهذه المرحلة أنها لم تُدوّن في مرحلة مبكرة للتاريخ الإسلامي، على عكس نظيرتها التي أرّخت للتاريخ المبكر للنصرانية في نجران، ونعني بذلك على وجه التحديد "رسالتي شمعون الأرشمي"، و"كتاب الشهداء الحميريين" اللذين كُتبا في القرن السادس الميلادي. فإذا ما تناولنا العلاقة بين الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من جهة ونصارى نجران من جهة أخرى، فإن أقدم مصدر يقابلنا هو " تاريخ سعرّت" (The Chronicle of Seert)، لمؤلف نسطوري مجهول عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين/ القرن الرابع الهجري تقريباً. ومع أن أصل مخطوط هذا التاريخ كُتب بالعربية، إلا أن ثمة أسبابًا تجعل من الضرورة ضمه لقائمة المصادر السريانية المعتمدة في هذه الدراسة(١). فقد اتضح لمن درس "تاريخ سعرّت" أن مؤلفه اعتمد كثيراً في تكوين مادة كتابه التاريخية على ما دوّنته تواريخ سريانية مبكرة معظمها مفقود، وتعود إلى القرن السابع على أقل تقدير(٢). بل إن "موبرج" (Moberg) و"عرفان شهيد" توصلا إلى نتيجة مفادها أن مؤلف "تاريخ سعرّت" المجهول استقى قصة اعتناق

---

(1) Scher, Addai, ***Histoire Nestorienne Inédite****:(Chronique de Séert),* libarie de (Paris, Brepols, Paris, 1950), pp. 600- 618.

(٢) من أهم مؤرخي السريان النساطرة في القرن السابع والثامن الذين اعتمد عليهم مؤلف تاريخ سعرت "دانيال بن مريم النسطوري" (*Daniel bar Maryam*)، و"إلياس أسقف مرو" (Elias of Merw)، و"شاهدوست أسقف طيرهان" (Shahdust)، و" يشوع بن نون" (Isho‘ bar Nun). انظر:

Hoyland, Robert G., ***Seeing Islam as Others Saw It: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam***, (Princeton, N.J., Darwin Press 1997),p. 444. Wood, Philip. ***The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq***, (Oxford, Oxford University Press, 2013), p. 3.

التاجر النجراني "حيّان" للنصرانية -على الأرجح- من الجزء المفقود من كتاب الحميريين، خاصة إذا ما علمنا أن "حفصة" ابنة أو حفيدة "حيّان" يرد ذكرها كثيراً في كتاب الحميريين كأحد أبطال قصة الاستشهاد(١). ويستمد "تاريخ سعرّت" أهميته من كونه أقدم مصدر سرياني متاح تحدث عن اتصال نصارى نجران بالرسول ﷺ وخليفته الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م). إلا أن هناك إشكالية لا يمكن تجاوزها، وتتمثل في غياب أصل مصدر الرواية التي استقى منها مؤلف "تاريخ سعرّت" معلومته، خاصة وأن تدوين هذا الكتاب أتى بعد عصر الرسالة بمائتي سنة على أقل تقدير، وعلى الرغم من أن المؤلف أشار في مواضع كثيرة من كتابه إلى من نقل عنهم من مؤرخين سريان متقدمين، إلا أنه أحجم عن ذكر المصدر الذي استقى منه قصة الوفد النجراني إلى المدينة، باستثناء إشارته إلى حبيب الراهب الذي يبدو أنه كان مصدره الذي نقل عنه نسخة لعهد الرسول ﷺ لنصارى نجران كما سيأتي في ثنايا هذا البحث(٢).

ومن المصادر المهمة في هذه الدراسة كتاب "التاريخ الكنسي" (The Ecclesiastical History) لأبي الفرج ابن العبري (Bar Hebraeus) المؤرخ السرياني المشهور حتى عند العرب، فقد تحدث ابن العبري في تاريخه هذا عن قصة قدوم وفد النصارى النجرانيين على النبي ﷺ برواية مختصرة، ولكنها تبدو مشابهة لما ورد في "تاريخ سعرّت"، وهو ما يعطي مؤشراً إلى أن ابن العبري اقتبس معلوماته على الأرجح من "تاريخ سعرّت"(٣).

ومن المصادر ذات الصلة غير المباشرة بنصارى نجران تحديداً رسائل جاثليق النصارى النساطرة في العراق "طيموثاوس الأول" (Timothy I) (٧٨٠- ٨٢٣م/ ١٦٣-٢٠٨هـ)؛

---

(1) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. 361- 367.

(2) Scher, ibid, p. 601.

(٣) ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ ابن العبري، ***التاريخ الكنسي***، ترجمة، صليبا شمعون، (دهوك، دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢م)، ج٢، ص ٢٥- ٢٦.

حيث يرد فيها أكثر من إشارة تاريخية عن نصارى "نجرانية الكوفية"(١). ومع أن "طيموثاوس" لم يتحدث عن نصارى نجران أنفسهم، إلا أن أهمية ما ذكره تتلخص في كشف الغموض عن الهوية المذهبية لمن أُجلي من نصارى نجران في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كما سيأتي في ثنايا هذه الدراسة.

وفي التأريخ لأحوال النصرانية في القرون الإسلامية الوسيطة بنجران يظهر لدينا ثلاثة مصادر مهمة تضمنت معلومات ثمينة للغاية عن تاريخ النصرانية في نجران خلال هذه الحقبة، وأولها "**كتاب الرؤساء**" (The Book of Governors) لـ "توما المرجي" (*Thomas* of *Marga*) الذي يعود إلى القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري تقريباً(٢). أما المصدر الآخر فهو موسوعة "المكتبة الشرقية" (Bibliotheca Orientalis) لرجل الدين والمؤرخ الماروني يوسف السمعاني (Giuseppe Simone Assemani) الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وأفاد من عمله في مكتبة الفاتيكان في جمع عدد كبير من المخطوطات والوثائق النصرانية الشرقية التي كُتبت بالسريانية، والعربية، واليونانية، والقبطية وغيرها(٣). وسنجد أن نجران نالت

---

(١) ترجم المستشرق الألماني "أوسكار براون" ٤٠ رسالة إلى اللاتينية، ثم ترجمت لاحقاً إلى الفرنسية، وقد لخصت د. سلوى بالحاج العايب خلاصة بعض هذه الرسائل لأهميتها في تسليط الضوء على تاريخ النصارى النساطرة في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. انظر:

العايب، سلوى بالحاج صالح، ***المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)***، ط٢، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨)، ص١٧٦.

Timotheus I, ***Epistulae Timothei Patriarchae I***. Transl. Oskar Braun,(Romae, Excudebat Karolus De Luigi, 1953), p. 102.

(2) Thomas, *Thomas* of *Marga*, ***The Book of Governors: The Historia Monastica of Thomas Bishop of Margâ A.d. 840***. Ed. And Transl. Ernest A. W. Budge, (London: Kegan Paul, Trench, Trübner, 1893), vol. 1, p. CXV- CXVl.

وانظر الترجمة العربية: المرجي، توما، ***كتاب الرؤساء***، ترجمة البير ابونا، ط٢، (بغداد، مطبعة ديانا، ١٩٩٠م). انظر القسم الخاص بالنصرانية في نجران خلال العصر العباسي.

(3) Assemani, Giuseppe Simone, ***Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana, De Scriptoribus Syris Nestorianis,*** (Romae: Typis Sacræ Cogregationis de Propaganda Fide, 1725).

نصيبها من بعض تلك الوثائق في القسم الخاص بتاريخ النصرانية في نجران في العصر العباسي.

وثالث مصادر هذه المرحلة كتاب صغير لمؤلف مجهول عن" تقويم الكنيسة النسطورية"، وهو مصدر متأخر أرّخ لأوضاع الطوائف النصرانية في بلاد العرب، وقرارات تعيين أساقفة نسطوريين بين القرنين ١١م – ١٧م(١). وتكمن أهمية المصادر الثلاثة السابقة في اعتمادها كثيراً على أرشيف الكنائس الشرقية، وخاصة النسطورية الذي تضمن فتاوى دينية، وقرارات تعيين أساقفة كنائس الطوائف النصرانية ومنها نجران موضوع هذه الدراسة.

وفي المجمل فإن أربع إشكاليات رئيسة تبرز في المصادر السريانية السابقة، أولها: أن زمن تدوين التواريخ السريانية التي تؤرخ لمرحلة صدر الإسلام كان متأخراً عن تلك المرحلة، فأقدم المصادر المتاحة لدينا تعود إلى ما بين القرنين التاسع أو العاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين، أي بعد قرنين من الزمان من عصري النبوة والخلافة الراشدة. أما ثاني تلك الإشكاليات فيتمثل في شح تلك المصادر عن ذكر معلومات شافية تخص عصري الخلافة الراشدة أو الدولة الأموية؛ مما يجعل معالجة مسألة تاريخ النصرانية في نجران خلال هذه المرحلة معضلة حقيقية تواجه الباحث في هذه الدراسة؛ نتيجة غياب الرواية أو النص التاريخي المدوّن. وثالث ما يُشكِل به المؤرخون السريان هو عدم ذكر رواتهم أو مصادرهم الأولية التي استقوا منها معلوماتهم، وهو طابع يغلب على المؤرخين السريان الذين يميلون في الغالب إلى استخدام المنهج الحولي في التأريخ للأحداث مع الميل للإيجاز في نفس الوقت. أما رابع وآخر تلك الإشكاليات فيمكن ملاحظته بوضوح في تركيز تلك المصادر –حتى تلك التي دُوِّنت على منهج التاريخ العالمي أو الكنسي – تاريخ سعرّت والتاريخ الكنسي لابن العبري– على

---

(١) مجهول، ***تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية***، وقف على طبعه وعلق على حواشيه: بطرس عزيز، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م)، ص ٦-٩، وانظر القسم الخاص بالنصرانية في نجران خلال العصر العباسي في الدراسة الحالية.

أحوال النصرانية في نجران وعلاقتها بدولة الإسلام دون التطرق لمواضع أخرى في تاريخ المنطقة.

نصارى نجران في عصر الرسالة

يرد ذكر وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ في "تاريخ سعرّت" المجهول، و"التاريخ الكنسي" لابن العبري بما يتفق كثيراً مع الخط العام للرواية الإسلامية. فقد أشار مؤلف تاريخ سعرّت ضمن حديثه عن "ظهور الإسلام" إلى استقبال النبي ﷺ وفداً من أهل نجران برئاسة "السيد الغساني" في "السنة الثامنة عشرة لهرقل (Heraclius) (٦٢٨م/ ٧هـ)..."، ومعه أربعون رجلاً من نصارى نجران، ذكر منهم "...عبد يشوع، وابن حجرة، وإبراهيم الراهب، وعيسى الأسقف..."[(١)]، حيث يزعم أنهم قدموا "...بهدايا وألطاف، وبذلوا له المعاونة والمعاضدة والمقاتلة بين يديه إن أمرهم، فقبل ما حملوه وكتب لهم عهداً وسجلاً..."[(٢)]. وقد روى المؤلف المجهول نص وثيقتين (عهد وسجل) زعم أن النبي ﷺ كتبهما لأهل نجران[(٣)].

ويبدو أن ابن العبري اعتمد كثيراً على رواية "تاريخ سعرّت"؛ فقد أشار في سياق حديثه عن ظهور "مُحَمَّد نبي العرب" إلى قدوم وفد النجرانيين برئاسة "سيد" وبرفقته "...أسقفهم يشوع حاملاً الهدايا لمحمد، فحصل منه على توصية بالغة الأهمية لصالح المسيحيين؛ من ذلك حمايتهم من الكوارث والنوائب، وعدم إكراههم على الحرب، أو تغيير تقاليدهم وأنظمتهم، وإن شاءوا تجديد كنيسة ما قديمة. على المسلمين أن يتعاونوا وإياهم، وتفرض عليهم جزية بقيمة أربعة قروش فقط، وللتجار والأثرياء اثني عشر قرشاً باستثناء الكهنة والرهبان، وإذا

---

(1) Scher, ibid, p. 605.
(2) Ibid, p. 601.
(٣) انظر نسخة تاريخ سعرّت لكامل نصي السجل والعهد في ملحق الوثائق في نهاية هذه الدراسة.

تزوج مسلم مسيحية فلا يكرهها على دينه ولا يمنعها من ممارسة صومها وصلاتها وتعاليم دينها وما أشبه..."[١].

يظهر أن ما ذكره مؤلف "تاريخ سعرّت" و"ابن العبري" يتفق مع الخط العام للرواية الإسلامية التي تشير إلى أن النبي ﷺ استقبل وفداً من نصارى نجران "... فِيهِمُ الْعَاقِبُ وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ، وَأَبُو الْحَارِثِ بْنُ عَلْقَمَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ وَأَخُوه كُرْزٍ وَالسَّيِّدُ وَأَوْسُ ابْنَا الْحَارِثِ وَزَيْدُ بْنُ قَيْسٍ وَشَيْبَةُ وَخُوَيْلِدٌ وَخَالِدٌ وَعَمْرُو وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَوَلُّونَ أُمُورَهُمْ وَالْعَاقِبُ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ، وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ وَالَّذِي يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ، وَأَبُو الْحَارِثِ أَسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مَدَارِسِهِمْ وَالسَّيِّدُ –واسمه الأيهم- وَهُوَ صَاحِبُ رِحْلَتِهِمْ..."[٢]. والواضح أن ثمة تباينًا واضحًا بين الروايتين النصرانية والإسلامية في قائمة الوفد النجراني باستثناء "السيد الغساني" الذي تلقبه الرواية الإسلامية بـ"السيد واسمه الأيهم". أما الأسقفان "يشوع"، و"عيسى" فلا يرد لهما ذكر في الرواية الإسلامية التي أشارت إلى "أبي الحارث بن علقمة البكري" الذي كان ملكاني المذهب (Melkite)، على عكس "السيد" و"العاقب"؛ فقد ذكر "مقاتل بن سليمان" في تفسيره أنهما كانا على المذهب "اليعقوبي" (Jacobite)[٣]. وليس مستبعداً أن الأسقفين "يشوع"، و"عيسى" يمثلان المؤسسة الكنسية للطائفة النسطورية من نصارى نجران؛ فالمتمعن لـ "تاريخ سعرّت" يجد ميلاً شديداً لحرص المؤلف على التأريخ لكل ما يخص النصارى النساطرة في المشرق. واختلاف مذاهب نصارى

---

(١) ابن العبري، **التاريخ الكنسي**، ج٢، ص ٢٥- ٢٦.

(٢) وردت قائمة الوفد النجراني عند مقاتل بن سليمان وابن اسحق وابن سعد بثلاث روايات متقاربة للغاية عدا بعض الاختلاف البسيط في أسماء الأفراد. للمزيد انظر: مقاتل، أبا الحسن مقاتل بن سليمان، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٧٩- ٢٨٠. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ***السيرة النبوية***، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج١، ص ٥٧٥. ابن سعد، أبا عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع، ***الطبقات الكبرى***، ط١، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م)، ج١، ص ٣٥٧.

(٣) مقاتل، **التفسير**، ص ٤٦٣.

نجران في السيد المسيح –عليه السلام– مسألة أشار إليها "ابن اسحاق" دون تحديد هوياتهم المذهبية باستثناء "أبو الحارث" السالف ذكره[١]. كل ما سبق من معلومات يجعلنا نذهب باطمئنان إلى القول بأن وفد نصارى نجران إلى المدينة ضمّ على الأرجح يعاقبة، ويوليان، ونساطرة، وملكانية، وليس طيفاً مذهبياً واحداً كما قد يتصور البعض.

إضافة إلى ذلك، فإن ما زعمه مؤلف "تاريخ سعرّت" من أن نصارى نجران قد أظهروا استعدادهم للقتال بجانب الرسول ﷺ إن أَمَرَهم تبدو مسألة مستبعدة، ويبدو أن المؤرخ استقاها من نسخة العهد الذي أخرجه "حبيب الراهب" عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٨ م[٢]، أو من نقل له الرواية؛ ذلك أننا لا نجد شبيهاً لذلك في عهوده ومكاتباته ﷺ إلا في وثيقة المدينة وحالها معروف، بل إن ابن العبري لم يتطرق إلى هذه المسألة في "التاريخ الكنسي" رغم اعتماده كثيراً على "تاريخ سعرّت" في التأريخ لوفد نصارى نجران إلى المدينة. أما مسألتا "المعاونة والمعاضدة" التي أبداها نصارى نجران للرسول ﷺ، فالأقرب لتفسيرها ما تضمنه عهد الرسول ﷺ لوفدهم حينما اشترط عليهم استضافة رسله مدة تصل الشهر وإعارة جيوش المسلمين "ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيرا" في حال حدثت حرب أو مرت جيوش المسلمين بنجران في طريقها إلى اليمن[٣].

---

(١) ومما قاله ابن اسحاق حول هذا الاختلاف:"...وَهُمْ مِنْ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ، مَعَ اخْتِلَافِ مَنْ أَمَرَهُمْ...". ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ٥٧٥.

(2) Scher, ibid, p 605.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٥٩٤– ٥٩٦. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، ***كتاب الخراج***، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٦٢م)، ص ٨٤– ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلّام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، ***كتاب الأموال***، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ص ٢٤٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، ***فتوح البلدان***، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص ٧٢.

ولعل اللافت أن المؤرخين النصرانيين تجنبا الحديث عن قصة الجدال الديني بين الرسول ﷺ والوفد النجراني الذي وصل إلى ذروته حينما دعاهم الرسول ﷺ إلى المباهلة التي انسحب منها الوفد النجراني بحسب رواية المصادر الإسلامية[(١)]. والواضح أن "المؤرخ السعرّتي" و"ابن العبري" حرصا على ذكر ما تحقق للوفد النصراني من مكاسب متعددة في بنود الصلح الشهير. إلا أن قضية مهمة كانت محل جدال واختلاف الباحثين هنا، وتتمثل في مدى صحة الوثيقتين اللتين نسبهما مؤلف "تاريخ سعرّت" إلى النبي ﷺ؛ إذ يتفق عدد من الباحثين قديماً وحديثاً وفي مقدمتهم محقق "تاريخ سعرّت"، و"مُحَّد حميد الله" على أنه "لا يوجد أدنى شبهة في أن هذين النصين من الموضوعات"[(٢)]، بل إن "فيليب وود"(Philip Wood) الذي شكك في صحة رواية "تاريخ سعرّت" لنص معاهدة صلح نصارى نجران اعتبر أن النص من اختراع مؤلف نصراني متأخر ومطلع على تفاصيل كثيرة في السيرة النبوية لابن اسحق، وهو ما يجعل شبهة التزوير هنا واردة لصناعة تاريخ غير حقيقي[(٣)]. أما "جان موريس فييه" (Jean Maurice Fiey) فقد ناقش بتوسع هذه المسألة معتبراً أن نص العهد الذي أخرجه "حبيب الراهب" كان رداً على "الشروط العمرية" المزيفة، وأحد إفرازات الأوضاع التي عاشها النصارى زمن الخليفة المعتمد العباسي[(٤)].

---

(١) عن المباهلة انظر: مقاتل، التفسير، ص ١٣٣. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٥٧٣– ٥٨٤. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ***دلائل النبوة***، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م)، ج٣، ص ٣٨٧– ٣٨٩.

(٢) حميد الله، مُحَّد، ***الوثائق السياسية لعصر النبوة والخلافة الراشدة***، ط٥، (بيروت، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص١٨٠. شير، المطران أَدَّي شِير، ***تاريخ كلد وآثور***، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ٢٠٠٧م)، ج١، ص ٢٨٠.

(3) Wood, Philip, ibid, p. 251.

(٤) موريس، جان موريس فييه، ***أحوال النصارى في خلافة بني العباس***، (بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠م، ط١)، ص ١٧٤.

لكن ما سبق من أطروحات اصطدم لاحقاً ببعض التوجهات المغايرة، ومنها دراستان حديثتان تبنتا القول بصحة الوثيقتين المذكورتين؛ إذ يرى " جون مورو" (*John Morrow*) أن منح النبي ﷺ حقوقاً وحريات غير مسبوقة إلى الطوائف النصرانية مسألة مُجمع عليها أصلاً، ومن ثم فإنها لا تستدعي أن يقوم أحد ما بتزويرها لاحقاً[١]، وهو رأي لا يمكن الاطمئنان إليه في الحكم على صحة وثيقة قُدِّم لها أكثر من رواية في مصادر التراث التاريخي الإسلامي نفسه، إلى جانب الرواية السريانية هنا دون الوصول إلى أصل نسختها المادية الذي لا يزال في حكم المفقود. أما "أحمد الوكيل" فقد حشد باستفاضة عدة أسباب رأى فيها أدلة على مصداقية نص الوثيقتين، يأتي في مقدمتها الدقة الحسابية لتاريخ وثيقتين مماثلتين زعم كاتبهما أن النبي ﷺ وجهها لأتباع "...دين النصرانية في مشرق الأرض ومغربها..."[٢]، ونصارى بلاد الرافدين[٣]. أما ثاني أدلة "الوكيل" فيتمثل في تطابق الشروط الخاصة بأحكام الجزية بين الوثيقة الخاصة بنصارى نجران ومثيلاتها المكتوبة لنصارى بلاد فارس، وأرمينية، والمقدرة بأربعة دراهم للفرد، وثالث أدلته تشابه طريقة صياغتها ومفرداتها. أما رابعها فيتمثل في أن جُل العهود المكتوبة لطوائف نصرانية في بيت المقدس، وسيناء، وأرمينيا، وأخرى يهودية في "خيبر"، و"مقنا" تحتوي على تواريخ دقيقة حسب التقويم الهجري، وقوائم شهود على كل وثيقة منها[٤].

والواقع أن هذه المسائل التي يتحجج بها الوكيل كأدلة على صحة الوثيقتين هي نفسها أدلة كافية لدحض ما تم حشدها من أجله، لا سيما للباحث المتعمق في التاريخ الإسلامي، فاستخدام التقويم الهجري لتأريخ العهود النصرانية يستحق أن يكون أول أدلة التزوير، ذلك

(1) Morrow, John, ***The covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the world,*** (Tacoma, Washington, Angelico Press, Sophia Perennis, 2013), p. 114.

(٢) شيخو، لويس، "عهود نبي الإسلام والخلفاء الراشدين للنصارى"، ***مجلة المشرق***، السنة الثانية عشرة، ص ٦٠٩-٦١٨، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م)، ص ٦١٠.

(3) El-Wakil, ibid, p. 331.

(4) Ibid, 332.

أن التقويم الهجري لم يُعمل به إلا في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وهي مسألة حظيت بإجماع مصادر التاريخ الإسلامي(١). كما أن ما كتبه الرسول ﷺ من رسائل وعهود لم تؤرخ كما فعل المتأخرون وجرت عليه العادة، وهو ما يقوي أصلاً صحة البدء في استعمال التقويم الهجري أيام عمر بن الخطاب. أما التشابه في مقدار الجزية فمسألة مردود عليها؛ ذلك أن مبالغ الجزية التي فرضها الرسول ﷺ خضعت للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأطراف المعاهدة، أو حتى للدولة الإسلامية نفسها، ولم يكن هناك مبلغ موحد بل أن معاهدة الرسول ﷺ مع يهود المدينة لم تتضمن مطالبتهم بدفع الجزية.

أما رابع الأدلة التي طرحها الوكيل والخاصة بقوائم الشهود على كتابة تلك العهود فهو دليل آخر على عدم صحة الوثيقتين؛ ذلك أن قائمة الشهود تضمنت أسماء شخصيات صحابة لم يرد لها أي ذكر في كتب الطبقات والتراجم مثل: عبدالله بن خفاف، وعبدالله بن سعد بن عبادة، وأبو الغالية(٢). كما أن تضمين قائمة الشهود لجعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– يضيف إشكالية أخرى للوثيقة الثانية؛ ذلك أن المؤرخين المسلمين يجمعون على أن

---

(١) يقول ابن خياط في تاريخه:"جَمَعَ عُمَرُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَكْتُبُ التَّارِيخَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ مُذْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ فَهُوَ يَوْمُ هَاجَرَ فَكَتَبَ ذَلِكَ عمر بن الْخطاب"، بينما يورد الطبري رواية أخرى يقول فيها:" كَتَبَ أَبُو موسى الأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ: إِنَّهُ تَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ قَالَ: فَجَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ لِلْمَشُورَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخْ لمبعث رسول الله ﷺ وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: لا بَلْ نُؤَرِّخُ لِمُهَاجَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّ مُهَاجَرَهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.". وبالإجماع يتفق جمهور المؤرخين المسلمين –رغم اختلاف رواياتهم– على أن عمر بن الخطاب قرر في عام ١٦هـ/ ٦٣٧م وضع تقويم للمسلمين يبدأ من تاريخ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة. للمزيد انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨٠. ابن خياط، خليفة بن خياط، ***تاريخ خليفة بن خياط***، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (دمشق – بيروت، دار القلم– مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ص ٥١. البلاذري، أحمد بن يحيى، ***أنساب الأشراف***، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م، ط١)، ج١٠، ص ٣٢١. الطبري، **التاريخ**، ج٢، ص ٣٨٨. اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب، ***تاريخ اليعقوبي***، (ليدن، بريل، ١٨٨٣م)، ج٢، ص ١٩٥– ١٩٦.

(2) Scher, ibid, p. 618.

جعفر بن أبي طالب استُشهِد في معركة مؤتة عام ٨ هـ/ ٦٢٩م(١). إضافة إلى ما سبق، فإنه من الحري القول إن الوثيقتين السابقتين لا تنتمي إلى أسلوب ولغة تلك العهود والمكاتبات النبوية التي روتها لنا مصادر التراث الإسلامي واتصفت بالميل للإيجاز، وتجنب الإسهاب، وبلاغة المعنى، والبعد عن التكلف والإطناب، وعدم تضمنها مفردات اعجمية.

عصر الخلافة الراشدة

تبرز لدينا في عصر الخلافة الراشدة إشارتان متناقضتان، ففي الأولى يزعم مؤلف "تاريخ سعرّت" أن عمر بن الخطاب كتب عهداً لأهل نجران في أيام خلافته بنفس تلك الشروط التي منحها إياهم الرسول ﷺ في العهد السابق[٢]. لكن مؤرخاً نسطورياً آخر يدعى "إيليا النصيبي" المشهور بـ" إيليا برشينايا" (Elia Bar-Senaya) يشير ضمن أحداث سنة ٩٥٢ يوناني (٢٠هـ / ٦٤١م)، إلى قرار الخليفة عمر بن الخطاب إخراج اليهود من نجران إلى الكوفة، لكن الغريب أن "إيليا برشينايا" لم يذكر شيئاً يخص الوجود النصراني في نجران بوجه عام[٣].

ويبدو واضحاً أن "برشينايا" استقى معلومته هذه من تاريخ الطبري الذي رواها نقلاً عن الواقدي[٤]؛ لذلك يصعب التعويل على أن ما ذكره "برشينايا" معلومة أصيلة من صميم التراث التاريخي السرياني على غرار "تاريخ سعرّت"، و"التاريخ الكنسي" ومصادر أخرى ستأتي في المباحث الآتية من هذه الدراسة.

---

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص ١٢٨. ابن خياط، **التاريخ**، ص ٨٦. البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٢، ص٤٣.

(2) Scher, ibid, p 601.

(٣) برشينايا، إيليا، **تاريخ إيليا برشينايا**، تحقيق: يوسف حبي، (بغداد، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، ١٩٧٥م)، ص ١٣٣.

(٤) الطبري، **التاريخ**، ج٤، ص ١١٢.

وأياً كان التباين بين "تاريخ سعرّت" و"تاريخ إيليا برشينايا "، فإن ما سطره مؤلف "تاريخ سعرّت" أعلاه مسألة تخالفها المصادر الإسلامية التي تجمع على أن الخليفة عمر بن الخطاب أصدر سنة ٢٠هـ/٦٤١م قراراً بإخراج نصارى نجران[١]؛ لكن المصادر الإسلامية ذاتها لا تتفق على السبب الحقيقي الذي دفع الخليفة إلى إصدار هذا القرار؛ إذ يزعم أبو يوسف أن الخليفة أخرجهم "...لأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ..." ولم يبين سبب هذا الخوف[٢]. لكن ابن سلّام والبلاذري كانا أكثر وضوحاً حينما أشارا إلى أن نصارى نجران "...أصابوا الربا..."، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب بإجلائهم[٣]. غير أن البلاذري عاد مرة أخرى ليذكر رواية مختلفة زعم فيها أن أهل نجران تحاسدوا بينهم فأتوا الخليفة وطلبوا منه أن يجليهم، فاغتنم هذه الفرصة وأصدر قراره بإجلائهم إلى نواحي الكوفة[٤]. أما الطبري فقد زعم أن وصية النبي ﷺ والخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) كانت السبب الرئيس وراء قرار الخليفة عمر في طرد أهل نجران[٥]. ويبدو واضحاً أن الطبري ربط قرار الخليفة بحديث الرسول ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما: "أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"، وهو حديث صحيح وفق شروط أهل الحديث[٦]. لكن أهمية رواية الطبري تتمثل في آلية تنفيذ قرار الخليفة الذي انتدب يعلى بن

---

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص ٢٨٠. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٧٣.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، ***كتاب الخراج***، ت: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٦٢م)، ص ٨٦.

(٣) ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، ***كتاب الأموال***، تحقيق: خليل مُحَمَّد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ص٢٤٥. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٧٣.

(٤) البلاذري، **المصدر نفسه**، ص ٧٤.

(٥) الطبري، **التاريخ**، ج٣، ص ٤٤٦.

(٦) ورد الحديث بعد صيغ متقاربة منها: "**لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً**"، و"**أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب**" و"**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**". انظر: ابن حنبل، أبا عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م)، ج١، ص ٣٢٩، حديث ٢٠١، ج٣، ص

أمية إلى نجران وطلب منه أن لا يجبرهم على ترك دينهم، وأن يخيرهم أي البلاد يفضلون الجلاء إليها وأن يعوضهم عن أملاكهم(١).

كل ما سبق من توافق واختلاف بين المؤرخين المسلمين حول قرار إجلاء أهل نجران يجعل من قرار الخليفة مسألة شائكة تحتاج إلى قراءة أعمق في أسباب دوافع هذا القرار، وآلية تطبيقه وآثاره اللاحقة؛ لذلك تناولت هذه المسألة عدة دراسات معاصرة، انطلاقاً من روايات المصادر الإسلامية وبقراءات مختلفة، والحال أن إجماع رأي الباحثين هنا ذهب إلى قبول ما ذكرته المصادر الإسلامية حول قرار الخليفة، ونتيجته المفترضة بإحداث تغيير جوهري في الهوية الدينية لمنطقة نجران متمثلة في إنهاء الوجود النصراني– اليهودي بالمنطقة لاحقاً(٢).

لكن "مُحَمَّد الجميل" كان له رأي مختلف، فقد طرح وجهة نظر مغايرة ترى أن روايات المحدثين المتصلة بإجلاء "أهل نجران" ربما كانت تعني "يهود نجران" أكثر من "نصارى نجران"، على عكس روايات المؤرخين المسلمين التي تظهر أن المعني بـ "أهل نجران" هم الطائفة

٢٢١، حديث ١٦٩١. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبا عبدالله، ***صحيح البخاري***، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، (دمشق، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج٦، ص٩، حديث ٣١٦٨. مسلم، مسلم بن الحجاج أبا الحسن القشيري، ***صحيح مسلم***، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج٣، ص ١٣٨٨، حديث ١٧٦٧.

(١) الطبري، **التاريخ**، ج٣، ص ٤٤٦.

(٢) العقيلي، مُحَمَّد بن أحمد، ***نجران في أطوار التاريخ***، (جدة، دار البلاد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٩٢. الحديثي، نزار عبد اللطيف، "نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام"، ***مجلة المؤرخ العربي***، (بغداد، ع٢٩، ١٤٠٦هـ)، ص ١٠٠. المسري، حسين، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، ***مجلة المؤرخ المصري***، (القاهرة، ع ٩، يوليو ١٩٩٢م)، ص ٧٣. دلال، عبد الواحد مُحَمَّد راغب، ***البيان في تاريخ جازان عسير ونجران، الجزء الأول***، (القاهرة، دار التعاون للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م)، ص ٢٤٤. العايب، **المسيحية العربية**، ص١٤٥. ابن جريس، غيثان بن علي، ***نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١– ق٤هـ / ق٧– ق١٠م)***، ط١، (الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ١٠٧.

النصرانية رغم ما اتسمت به روايات هؤلاء المؤرخين من الاضطراب وعدم الدقة(١). ومن ثم فإن إخراج نصارى نجران –حسب رأي "الجميل"– أُنجز على عدة مراحل وصلت إلى ثماني سنوات، أي أنه بدأ منذ تولي يعلى بن أمية ولاية نجران عام ١٣هـ/ ٦٣٤م، مع الأخذ بالاعتبار أن القرار لم يُطبق على جميع النصارى واليهود النجرانيين(٢).

وفي الواقع، فإن ما خرج به "الجميل" من استنتاجات سابقة تلقى قبولاً معتبراً لدى الباحث لا سيما الإجلاء المرحلي وعدم شموله كل أهل الذمة في نجران. إلا أن ثمة مسألة تحتاج إلى أكثر من وقفة هنا، فرواية تكليف الخليفة عمر بن الخطاب ليعلى بن أمية منذ بداية تعيينه والياً على نجران، أي في حدود عام ١٣هـ/ ٦٣٤م، إجلاء "أهل نجران" مسألة فيها نظر. ووجه التحفظ هنا ليس في كون الطبري قد تفرد بها، ولكن زمن حدوثها المبكر لا يستقيم مع سياق الأحداث؛ إذ يبدو أن ثمة اضطراب يشوب الرواية يتمثل في الخلط بين قرار تعيين يعلى بن أمية والياً على نجران في بداية عهد عمر بن الخطاب، وبين قرار الخليفة اللاحق تكليف يعلى بن أمية بإخراج نصارى نجران كما سيأتي.

لا شك بأن حادثة إجلاء أهل قرية رعاش –سواء كانوا نصارى أو يهودًا– التي نوّه عنها "الجميل" كانت على الأرجح حادثة مستقلة، لكن نص كتاب عمر بن الخطاب لأهل "رعاش تضمن إشارة مهمة إلى دور "يعلى بن أمية" في تنظيم علاقة سُلطة الدولة بالطائفتين النصرانية واليهودية، فقد أوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن يعلى حافظ على التزام سلطة الدولة بعدم إجبار نصارى نجران ويهودها على اعتناق الإسلام، ولم يخرجهم كما زعمت الرواية التي قدمها الطبري(٣). فمقتضى الحال من سياق التفاصيل التي وردت في كتاب

---

(١) الجميل، محمد بن فارس، "إجلاء عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لأهل الذمة"، ***مجلة الجمعية التاريخية السعودية***، الرياض، عدد ٧، السنة ٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣١– ٣٧.

(٢) الجميل، **المرجع نفسه**، ص ٣٩.

(٣) من بين المصادر المتاحة ينفرد ابن سلاّم وابن زنجويه بذكر حادثة إخراج أهل الذمة من قرية رعاش بنجران؛ حيث أوردا كتاب الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الخصوص وفيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى

الخليفة لأهل رعاش يؤكد أن "يعلى بن أمية" أمضى وقتاً من الزمن في نجران قبل أن تصدر إليه أوامر إجلاء أهل نجران. أما عن المقصود بـ "أهل نجران" الذين صدر قرار الخليفة بإخراجهم عام ٢٠هـ/٦٤١م، فهي في رأي الباحث مسألة لا تحتاج إلى كثير اجتهاد؛ ذلك أن عهد النبي ﷺ، ثم عهد خليفته أبي بكر الصديق إلى وفد النصارى النجرانيين ينصان على "أهل نجران"، أي أن المقصود هنا الأغلبية النصرانية من أهل الذمة ومن دخل في عهدهم من اليهود الذين كانوا لهم كالأتباع بحسب ما ذكره البلاذري[١]. ويبدو أن قرار الخليفة لم يستثن النصارى دون اليهود أو العكس، بقدر ما كان مبنياً على بنود العهد الذي منحهم إياه الرسول ﷺ وجدد أبو بكر الصديق التزام الدولة الإسلامية بالعمل به[٢].

وبناءً على ما سبق، فإذا ما تناولنا مسألة الخلاف حول دوافع الخليفة وراء القرار السابق، فإن الواضح أن عودة ممارسة الربا بين النصارى النجرانيين تبدو السبب الأرجح لقرار الخليفة؛ لأنها كانت في الأصل أحد أبرز أنشطتهم الاقتصادية في مدينة تعد التجارة أحد أبرز أنشطتها، ولذلك لم يكن مستغرباً أن يشترط عليهم الرسول ﷺ التوقف عن هذا النشاط لتعارضه مع التشريعات الإسلامية التي تحرم كل أوجه الربا حتى على المسلمين

أَهْلِ رُعَاشٍ كُلِّهِمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ، ثُمَّ ارْتَدَدْتُمْ بَعْدُ، وَإِنَّهُ مَنْ يَتُبْ مِنْكُمْ وَيُصْلِحْ لَا يَضُرُّهُ ارْتِدَادُهُ، وَنُصَاحِبُهُ صُحْبَةً حَسَنَةً، فَادَّكِرُوا وَلَا تَهْلِكُوا، وَلْيُبْشِرْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ، فَمَنْ أَبَى إِلَّا النَّصْرَانِيَّةَ فَإِنَّ ذِمَّتِي بَرِيئَةٌ مِمَّنْ وَجَدْنَاهُ بَعْدَ عَشْرٍ تَبْقَى مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ مِنَ النَّصَارَى بِنَجْرَانَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ يَعْلَى كَتَبَ يَعْتَذِرُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَهَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى الْإِسلام أَوْ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَسْرًا جَبْرًا وَوَعِيدًا لَمْ يَنْفُذْ إِلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَرْتُ يَعْلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْكُمْ نِصْفَ مَا عَلِمْتُمْ مِنَ الأرض، وَإِنِّي لَنْ أُرِيدَ نَزْعَهَا مِنْكُمْ مَا أَصْلَحْتُمْ". انظر: ابن سلاّم، **الأموال**، ص ١٢٩. ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد الخرساني، ***كتاب الأموال***، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦)، ص ٢٧٩. وعن رواية الطبري انظر: الطبري، **التاريخ**، ج٣، ص ٤٤٦.

(١) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٧٣.

(٢) أبو يوسف، **الخراج**، ص ٨٥. الطبري، **التاريخ**، ج٣، ص ٣٢١.

أنفسهم[١]. أما ما زعمه البلاذري من أن نصارى نجران قد تحاسدوا ثم طلبوا من الخليفة أن يجليهم فرواية لا تستقيم مع المنطق ولا يعقل أن يقدم عليها قوم أهل ثروات كبيرة، وعراقة تمتد قرون في هذا الإقليم الغني اقتصادياً.

وإذا ما تناولنا الآثار اللاحقة لقرار الخليفة عمر بن الخطاب فإن إشكالية حقيقية تواجه الباحث هنا، ذلك أن ثمة فارقًا زمنيًا طويلًا تنقطع فيه أخبار نصارى نجران منذ هذا القرار وحتى القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي؛ حيث تظهر أكثر من معلومة تاريخية عن الوجود النصراني في نجران، وهو ما يظهر تعارضاً لأول وهلة مع قرار عمر بن الخطاب بإخراج نصارى نجران وإسكانهم نجرانية الكوفة عام ٢٠هـ/٦٤١م. فهل كل ذلك يعني أنه لم يعد هناك أي وجود للمكون النصراني في نجران بعد عام ٢٠هـ؟ تصدت عدة دراسات حديثة لهذه المسألة على أساس أن نجران أصبحت خالية من الوجود النصراني وحتى اليهودي بعد هذا التاريخ[٢]، لكن هذا الاستنتاج يبقى محل اختلاف من وجهة نظر الباحث.

لا خلاف أن قرار الخليفة عمر متواتر تاريخياً بين مصادر التاريخ الإسلامي، وللإنصاف فقد ناقشت دراسة حديثة قام بها "مُحَّد الجميل" هذه الفرضية باستفاضة في ضوء البنود الرئيسة لعهد النبي ﷺ لنصارى نجران، فذهب "الجميل" إلى نتيجة مفادها أن قرار الخليفة عمر بن الخطاب شمل -على الأرجح- من تورط فعلاً في تعاطي الربا الذي حرّمه الرسول ﷺ عليهم في نص الوثيقة: "**...فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة...**"[٣]، وعلى الأرجح أيضاً ربما

---

(١) وهو ما نص عليه عهد الرسول ﷺ في قوله: "... ومن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة...". ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، **الخراج**، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلاّم، **الأموال**، ص ٢٤٤. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٧٢.

(٢) العقيلي، **نجران في أطوار التاريخ**، ص ٩٢. الحديثي، **نجران أهميتها**، ص ١٠٠. المسري، **نجران ودورها**، ص ٧٣. دلال، **البيان**، ص ٢٤٤. العايب، **المسيحية العربية**، ص١٤٥. ابن جريس، **نجران**، ص ١٠٧.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، **الخراج**، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلاّم، **الأموال**، ص ٢٤٤. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٧٢.

بقي آخرون يمثلون أقلية لم تتورط في مخالفة ما ورد في العهد النبوي، ذلك أن أحد بنوده نصت على أنه: "...لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر..."(١). والحق أن "الجميل" تنبه مبكراً إلى هذه المسألة؛ إذ استبعد تماماً تعامل كل نصارى نجران بالربا مما يعني بالمنطق والشرع أنه: "... لا يجوز إيقاع العقوبة الجماعية بنصارى نجران أجمعين"(٢).

وبناءً على ما سبق، فإن المرجح أن قرار الإجلاء كان جزئياً ولم يشمل كل الطائفتين: النصرانية واليهودية في نجران، بل إن نصين في رسائل "طيموثاوس الأول" يكشفان لنا عن الهوية المذهبية لمن رُحّلوا من نصارى نجران إلى نجرانية الكوفية؛ إذ يرد في الرسالتين ١٢ و٢٧ أن نصارى نجرانية الكوفة كانوا من أتباع المذهبين اليعقوبي واليولياني التابعين للكنيسة المونوفيزتية حتى عام ٧٩١م/ ١٧٤- ١٧٥هـ تقريباً، إلا أنه -وبحسب الرسالتين- فقد نجح الجاثليق في تحويل هؤلاء إلى المذهب النسطوري (Nestorian) ونقل تبعيتهم للكنيسة النسطورية(٣).

تكشف لنا الرسالتان أكثر من حقيقة مهمة، وأول تلك الحقائق المصادقة على صحة الرواية الإسلامية حول نفي نصارى نجران إلى نجرانية الكوفة، خاصة وأن المصدر هنا محسوب على الطائفة النصرانية. كما أنهما تكشفان لنا بجلاء عن الهوية المذهبية لنصارى نجران، والتي كانت محل خلاف مستمر بين من أرخ لنصارى نجران خاصة في صدر الإسلام. إذا يبدو أن المذهب المنوفيزتي بقسميه اليعقوبي واليولياني كان مذهب الأغلبية النجرانية ممن شملهم قرار الإجلاء. لكن الرسالتين تؤكدان -في الوقت نفسه- ما سبق أن افترضته هذه الدراسة، وهو

---

(1) Al-Nahee, Owed, "***The Religious Structure of Najrān in Late Pre-Islamic And Early Islamic History: From the end of The Ḥimyarite Kingdom until the end of the Rashidun Caliphate (525-661 CE)***", a PhD thesis submitted to The University of Birmingham, UK , p 139 -140.

(٢) الجميل، إجلاء عمر بن الخطاب لأهل الذمة، ص ٣٧.

(٣) العايب، **المسيحية العربية**، ص١٧٦.

Timotheus I, ibid, p. 102.

أن الإجلاء الذي وقع على نصارى نجران كان إجلاءً جزئياً ولم يشمل جميع نصارى نجران؛ إذ سنجد في المرحلة الزمنية اللاحقة أن هوية من بقي منهم تطغى عليهم الصبغة النسطورية. ومن ثم فإن مسألة استمرارية بقاء أقلية نصرانية- ويهودية- في نجران أمر مرجح في ضوء المعطيات السابقة، وليس بالغريب أن ترد معلومات تاريخية عن أساقفة ترأسوا الأقليات النصرانية في نجران وجنوب الجزيرة العربية في القرن الثاني الهجري كما سيأتي معنا.

العصران الأموي والعباسي

تُبدي المصادر السريانية صمتاً شبه تام عن التطرق لأحوال نجران خلال العصر الأموي باستثناء إشارة غير مباشرة في "تاريخ ميخائيل السرياني" عن قرار أصدره الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٣- ٧٤٤م) بنفي "أسطفان الثالث" (Stephen III) بطريرك أنطاكية الذي كان على المذهب الملكاني (Melkite) إلى اليمن(١)، غير أنه لم يحدد أية وجهة نُفي إليها رجل الدين الملكاني، خاصة وأن المصادر السريانية قد درجت كثيراً على إطلاق هذا المصطلح -اليمن- على كل ما هو جنوب بلاد العرب، لكنه ليس من المستبعد أن تكون نجران إحدى تلك الجهات خاصة وأنها كانت أكبر مركز للنصراني في جنوب جزيرة العرب حتى صدر الإسلام.

ومع غموض ما ذكره ميخائيل السرياني سابقاً، فإن المصادر السريانية تواصل صمتها عن ذكر أي شيء يخص نجران تحديداً حتى مرحلة متأخرة من القرن الثاني الهجري، وهو ما جعل مسألة وجود النصارى واليهود في المنطقة مسألة بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي. فقد فسر باحث حديث هذا الأمر على أنه دليل على عودة نصارى نجران لموطنهم بعد ضعف السلطة المركزية للدولة الإسلامية، وانحسار نفوذها عن الأقاليم البعيدة ومنها نجران(٢)،

---

(١) السرياني، ميخائيل، ***تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية***، ترجمة: مارغريغورس صليبا شمعون، (حلب، دار ماردين، ج٢، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ٤٠١.

(٢) ابن جريس، **نجران**، ص ١١١.

وهو ما لا يلقى قبولاً من "سلوى العايب" التي تناولت الموضوع نفسه في دراستها الموسومة بـ "المسيحية العربية وتطوراتها"؛ حيث قررت أن لا شيء في المصادر يثبت عودة بعض نصارى نجران المنفيين إلى الإقليم لاحقاً[١].

والواقع أن المصادر السريانية تورد معلومات مهمة عن الوجود النصراني في نجران ابتداءً من الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، أي خلال العصر العباسي الأول. ومن تلك المعلومات ما ذكره "توما المرجي" حول تعيين أسقف نسطوري اسمه "بطرس" على صنعاء واليمن في أواخر القرن الثامن الميلادي/ أي الثاني الهجري[٢]، وهي معلومة استدركها "شيخو"، فذكر أن بطرس كان أسقفاً لنجران وليس صنعاء[٣]. وتأتي أهمية هذه الإشارة التاريخية ليس في التأكيد على مسألة وجود الطائفة النصرانية في نجران فحسب، ولكن أهميتها تبرز في تحديد زمن هذا الوجود بأواخر القرن الثامن الميلادي أي ذروة قوة الدولة العباسية التي كانت سلطتها لا تزال قوية على جنوب الجزيرة العربية، وهو ما يرد على المزاعم التي تفسر تواجد النصارى اللاحق بنجران بأنه جاء نتيجة عودة بعض منهم بسبب ضعف السلطة المركزية للدولة العباسية[٤].

وفي "المكتبة الشرقية" للسمعاني ترد إشارة أخرى في وثيقة نسطورية مؤرخة في العام ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، وكانت عبارة عن رسالة بعث بها جاثليق النصارى النساطرة "يوحنا بن عيسى" إلى قس من اليمن –أي نجران على الأرجح – واسمه "الحسن بن يوسف النصراني"؛

---

(١) العايب، **المسيحية العربية**، ص ٢١٦.

(2) Thomas, ibid, vol. 1, p. CXV- CXVl.

المرجي، **كتاب الرؤساء**، ص ١٩٥.

(٣) شيخو، لويس شيخو اليسوعي، ***النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية***، ط٢، (بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م)، ص ٢٦.

(٤) ابن جريس، **نجران**، ص ١١١.

حيث تضمنت الرسالة رد الجاثليق على بعض المسائل الدينية التي بعث بها رجل الدين النجراني(١).

تظهر أهمية ما حملته الإشارات التاريخية بالمصدرين السريانيين السابقين في كونهما يقدمان مؤشراً قوياً على طبيعة الوجود النصراني في نجران ومدى علاقته بالكنائس المذهبية الأم في العراق، أو الشام. وليس ذلك فحسب، بل إنه يكشف بجلاء الهوية المذهبية التي تبناها معظم -إن لم يكن كل- نصارى نجران في تلك المرحلة التاريخية، حيث بدا المذهب النسطوري مهيمناً على الطائفة النصرانية النجرانية على عكس ما كان سائداً في صدر الإسلام حينما كان المذهب المنوفيزتي اليعقوبي هو الأقوى نفوذاً.

والحقيقة أن الإشارة إلى ربط رجل الدين باليمن قبل نجران قد يثير بعض الشكوك في أن المعني بأسقف اليمن هو أسقف نجران، لكن أكثر من مصدر تاريخي إسلامي معاصر يؤكد حقيقة الوجود النصراني —اليهودي في نجران خلال المرحلة نفسها، بل إن ما يرد في هذه المصادر الإسلامية يتفق كثيراً مع ما تورده الرواية السريانية حول طبيعة الوجود النصراني في نجران في الحقبة نفسها؛ إذ يشير "العلوي" مؤلف "سيرة الهادي إلى الحق" إلى أن مؤسس الدولة الزيدية الإمام "يحيى بن الحسين" الملقب بالهادي إلى الحق حينما دخل نجران سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م وجد أن "أهل الذمة" قد توسعوا في شراء الكثير من العقارات والمزارع من المسلمين، فتردد في أمرهم كثيراً قبل أن يعقد معهم صلحاً على أن يدفعوا بموجبه "الجزية" عن كل حُر بالغ و"التُسع" على ما امتلكوه أو اشتروه من أراض وعقارات من المسلمين(٢). ولعل اللافت هنا أن العلوي لم يوضّح من هم أهل الذمة، وهو مصطلح يشمل في الغالب النصارى واليهود وربما كان المؤلف على الأرجح يقصد كلتا الطائفتين. لكن الأهم أن النص

---

(1) Assemani, ibid, vol. 3, p 249.

وانظر: شيخو، **النصرانية وآدابها**، ص ٢٦.

(٢) العلوي، علي بن مُحَّد بن عبيدالله، ***سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين***، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م) ص ٧٢- ٧٨.

التاريخي الذي يقدمه العلوي يتفق زمنياً وضمنياً مع ما ورد في الوثيقة النسطورية السابقة حول حقيقة الوجود النصراني في نجران كما سبق شرحه.

ويؤكد مؤرخ لاحق حقيقة الوجود النصراني بنجران دون مواربة حينما كتب عن مسير الإمام "القاسم بن علي العياني" (توفي ٣٨٨هـ/ ١٠٠٣م) إلى نجران في القرن الرابع الهجري، وتحدث عما جرى بين الإمام العياني وزعماء نصارى نجران عندما أراد أن يفرض عليهم جزية "بـ ٤٠٠ أوقية تبراً – أي ذهب- وأربعمائة حلة من وشي اليمن"، لكنهم احتجوا بأن ذلك مبلغ باهض؛ ذلك أنهم أضعف عدداً وأموالاً وأراضٍ عما كانوا عليه في صدر الإسلام حينما كانوا "يملكون الوادي أو أكثره"، غير أن واسطة عدد من مشائخ بني الحارث بن كعب ساعدت الطرفين على إتمام صلح قبل بموجبه الإمام العياني "أن يجريهم على قبض الجزية والمعونة إذا سأل المسلمون المعونة غير زكواتهم"[(١)].

ويشير مؤرخ يمني آخر من القرن السادس الهجري إلى وجود لافت لطبقة تجارية من اليهود والنصارى في نجران حينما غزاها الإمام الزيدي "أحمد بن سليمان"[(٢)]، ولعل هذا مما يدل على صواب الاستنتاج السابق حول ما كان يقصده المؤرخ العلوي في تكراره لمصطلح أهل الذمة. لكن المهم هنا ليس في حديث كلا المصدرين اليمنيين عن الوجود النصراني بنجران فحسب، بل إنه يتجاوز ذلك إلى توضيح حجم هذا الوجود الذي بدا منحسراً كثيراً عما كان عليه في صدر الإسلام بإقرار زعماء الطائفة النصرانية أثناء حوارهم مع الإمام العياني الموضّح سابقاً. وذلك يؤكد -على الأرجح- ما طرحناه سابقاً حول آلية قرار الخليفة عمر بن الخطاب التي ساعدت على إجلاء عدد كبير من نصارى نجران كما سبق تبيينه.

---

(١) ابن يعقوب، الحسين بن أحمد، ***سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني***، تحقيق: عبدالله الحبيشي، ط١، (صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٠٧.

(٢) الثقفي، سليمان بن يحيى، ***سيرة الإمام أحمد بن سليمان ٥٣٢- ٥٦٦هـ***، تحقيق: عبدالغني محمّد عبدالمعطي، ط١، (مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م)، ص٤٣.

ولعل ما ذكره الرحالة "ابن المجاور" الذي زار نجران في القرن السابع الهجري يؤكد ما دوّنته المصادر السابقة مرة أخرى ضمناً، فقد ذكر أن سكانها ينقسمون إلى "ثلاث ملل: ثلث يهود وثلث نصارى وثلث مسلمين..."[(١)]. ورغم ما يمثله نص ابن المجاور هنا من مبالغة واضحة في تقدير حجم الوجود النصراني واليهودي بالمنطقة، إلا أنه يمثل أهمية بالغة في التأكيد على مصداقية الوجود النصراني في نجران التي فصّل فيها مؤلف "تقويم الكنيسة النسطورية" المجهول ذلك أن كلاً من المؤرخين حاولا الحديث عن الوجود النصراني في نجران في المرحلة الزمنية ذاتها، أي منتصف القرن السابع الهجري؛ إذ تحدث المؤرخ النسطوري المجهول بتفاصيل واضحة وأرقام دقيقة عن الطائفة النصرانية النجرانية، فذكر أنه كان بنجران سنة ١٢٦٠م/ ٦٥٨هـ أسقف نسطوري اسمه "يعقوب" وتحت رئاسته خمسة عشر قساً، وخمسة وثلاثون شماساً، مقدّراً عدد الطائفة النصرانية بألف وأربعمائة بيت، وكانت لهم كنيستان: إحداهما تسمى "كنيسة قيامة المسيح"، والأخرى بكنيسة "شليط العابد"[(٢)].

والملاحظ هنا أنه بالمقارنة بين ابن المجاور، ومؤلف "تقويم الكنيسة النسطورية"، فإن الأخير يبدو أكثر دقة في تفصيل الوجود النصراني بنجران عند حديثه عن أفراد المؤسسة الكنسية وعدد أفراد الطائفة وكنائسهم؛ لكن ذلك لا يعني قبول ما يورده هذا المصدر السرياني على عواهنه، فاللافت أن مدوّن هذا المصدر حصر اهتمامه على أبناء الطائفة النسطورية فهل يعني ذلك اختفاء وجود الطوائف الأخرى خاصة المنوفيزتية والملكانية؟ لا يمكن الإجابة هنا بالنفي أو بالإيجاب؛ لأن المصادر التاريخية المحسوبة على كلتا الطائفتين لا تزودنا بتفاصيل واضحة تساعد على الإجابة عن هذا التساؤل.

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، ***تاريخ المستبصر***، راجعه ووضع هوامشه: ممدوح حسن محمد، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م)، ص ٢٣٨.

(٢) مجهول، **تقويم الكنيسة النسطورية**، ص٨.

الواقع أن ما ورد في رسالتي "طيموثاوس الأول" التي سبق تناولهما في المبحث السابق قد يقدم إجابة جزئية عن سبب انحسار المذهبين المنوفيزتي والملكاني عن نجران. لقد كشفت لنا رسالتا "طيموثاوس الأول" أن المذهب المونوفيزتي بشقيه اليعقوبي واليولياني كان المعتقد المسيطر على من نُفي من نصارى نجران إلى الكوفة، ومن ثم فلا غرابة إذاً أن ينحسر عدد أتباع هذا المذهب في نجران وتتحول الكفة لصالح المذهب النسطوري المنافس له. لكن الرسالتين لم تتطرقا بشيء يُذكر لأتباع المذهب الملكاني؛ إذ ليس من المستبعد أن يشملهم القرار نفسه الذي شمل إخوانهم من اليعاقبة واليوليان في نجرانية الكوفة، ذلك أن تعليمات الخليفة عمر بن الخطاب أعطتهم الحرية باختيار البلاد التي يشاؤون الاستقرار فيها ولم تحصرهم على العراق(١).

وإذا كانت "سلوى العايب" قد قررت أن المصادر تجهل مصير نصارى نجران في بلاد الشام كما أسلفنا(٢)، فإن قصة تنصّر "قيس بن ربيع بن يزيد الغساني النجراني" تدحض هذا التصور؛ إذ تَرِد قصة هذا الرجل ضمن أربع مخطوطات قصيرة محفوظة في "دير سيناء"، وملخص القصة التي يغلب عليها طابع القصص الديني للقديسين (Hagiography) أن "قيساً" هذا كان نصرانياً تعود أصوله إلى نجران، ثم اعتنق الإسلام وخدم في جيوش المسلمين التي كانت تتوغل في بلاد الروم مدة قاربت ثلاثة عشر عاماً، وبعد عودته من بلاد الروم ارتد إلى النصرانية وتعمّد في إحدى كنائس بعلبك، وتسمى بـ "عبدالمسيح" قبل أن يتجه إلى بيت

---

(١) يورد أبو يوسف وغيره من المؤرخين المسلمين نص كتاب عمر بن الخطاب لولاته في العراق والشام وفيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لأَهْلِ نَجْرَانَ مَنْ سَارَ مِنْهُمْ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَاءً لَهُمْ بِمَا كَتَبَ لَهُمْ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ."أَمَّا بَعْدُ": فَمن مروا بِهِ من أرماء الشَّام وأمراء الْعرَاق فليسقوهم من حرث الأرض، فَمَا اعتملوا مِنْ ذَلِكَ فَهُو لَهُمْ صَدَقَةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ وَعَقْبَةٌ لَهُمْ مَكَانَ أَرْضِهِمْ لَا سَبِيلَ عَلَيْهِمْ فِيهِ لأَحَدٍ وَلا مَغْرَمَ". وأهمية الكتاب هنا تكمن في إنه يعطي دليلاً غير مباشر في أن بلاد الشام كانت وجهة أخرى لنصارى نجران وليس نجرانية الكوفة بالعراق وحدها. أبو يوسف، **الخراج**، ص ٨٦.

(٢) العايب، **المسيحية العربية**، ص ٢١٦.

المقدس؛ حيث زار البطريرك "يوحنا"، ومنها إلى طور سيناء، حيث تولى رئاسة الرهبان في أحد الأديرة سبع سنوات، ثم عاد إلى "الرملة" حيث قُبض عليه وأُعدم هناك(١).

يبدو من إحدى مخطوطات القصة التي دوِّنت باللغة العربية بتاريخ ربيع الأول ١٥٥هـ/ ٧٧٢م أن القصة وقعت في النصف الأول للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على أقصى تقدير(٢). والنص وإن لم يكن سريانياً -دوِّن بالعربية- إلا أن محقق نص تنصّر "قيس النجراني" يُرجّح أن السريانية كانت اللغة الأم لكاتب النص، ذلك أن لغة النص مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية، فضلاً عن أن كثيراً من علامات الترقيم والتشكيل تنتمي إلى اللغة السريانية وليس العربية(٣). وفي كل الأحوال، فإن أهمية هذا النص التاريخي تتمثل في كشف حقيقتين تاريخيتين بعيداً عما يعتري النص من مبالغات وتفاصيل تشوبها العاطفة الدينية. تبدو أولى الحقائق في أن ما يؤكده كاتب النص حول أصول "قيس بن ربيع" النجرانية والنصرانية في الوقت نفسه يتلاقى مع ما أشارت له الرواية الإسلامية حول انتقال بعض نصارى نجران إلى بلاد الشام كما أشرنا سابقاً. أما ثاني هذه الحقائق فيتمثل في الخلفية المذهبية لقيس، فقد رجح "غريفيث" (Griffith) أنه كان على المذهب الملكاني، ذلك أن

---

(1) Griffith, Sidney, " The *Arabic Account* of *ʿAbd al-Masīḥ* an-*Nagranī al-Ghassānī*", ***Arabic Christianity in the Monasteries of Ninth-Century Palestine***, (Aldershot, Ashgate, 1992), pp. 361- 370. Hoyland, ibid, pp. 381- 383. Vila, David "The Martyrdom of ʿAbd al-Masīḥ", ***Christian Muslim Relations: A Bibliographical History, Volume 1 (600-900)***, ed. David R Thomas, Roggema Barbara, Juan Pedro Monferrer Sala, Johannes Pahlitzsch, Mark Swanson, Herman Teule, John Tola, (Leiden - Boston, Brill, 2009), pp. 684- 687.

(٢) هناك خلاف محتدم بين المؤرخين حول تاريخ وقوع القصة بين من يرجحها في أيام بطريرك بيت المقدس يوحنا الخامس (John V) (٧٠٥- ٧٣٢م /٨٥- ١١٣هـ) الذي عاش في العصر الأموي أو يوحنا السادس (John VI) (٨٣٩- ٨٤٣م/ ٢٢٤- ٢٢٨هـ) الذي عاش في أواخر العصر العباسي الأول، وأحد أوجه الإشكال لدى الباحثين هنا أن السجلات الكنسية لم تتحدث عن إحياء الكنائس الشرقية ذكرى عبدالمسيح النجراني كما جرت عليه العادة في إحياء ذكرى القديسين الشهداء في العصر الأموي أو حتى المرحلة المبكرة من العصر العباسي الأول. انظر:

Griffith, ibid, pp. 344- 347. Hoyland, ibid, pp. 382- 383. Vila, ibid, p. 686.

(3) Griffith, ibid, 343.

من دوّن المخطوطات الأربع في سيرته كانوا من أتباع الكنيسة الملكانية وليس اليعقوبية[١]. واتجاه نصارى نجران من أتباع المذهب الملكاني إلى بلاد الشام أو حتى مصر أمر مفهوم؛ فقد انتشر اتباع هذا المذهب في مصر والشام وكان لهم كنائسهم ومؤسساتهم الدينية المنتشرة هناك[٢].

الخاتمة

تناولت الدراسة الحالية تاريخ نجران من خلال المصادر السريانية منذ عصر النبوة وحتى نهاية الدولة العباسية؛ حيث ركّزت على معالجة ثلاثة تساؤلات رئيسة، أولها يبحث عن دوافع المؤرخين السريان للاهتمام بنجران، وثانيها يناقش بتوسع علاقة السلطة الإسلامية بنصارى نجران في ضوء المصادر السريانية، وينظر في مدى تطابق المصادر السريانية أو اختلافها مع نظيرتها الإسلامية حول ما تقدمه من روايات في تاريخ المنطقة. أما ثالث هذه التساؤلات فقد اختص بتقييم الإسهام المعرفي لهذه المصادر، أي مدى قيمة ما تقدمه من معلومات جديدة في تاريخ المنطقة.

وفي البداية كان لا بد من التعريف بأهم المصادر السريانية لهذه الدراسة ومناقشة إشكالياتها الرئيسة؛ فقد تبين أن أبرز مشكلة تواجهنا في تلك المصادر تدوينها في مرحلة زمنية متأخرة مقارنة بالمراحل الزمنية التي تتناولها الدراسة، فالتواريخ التي أرّخت لوفد نصارى نجران إلى المدينة كُتبت بعد قرنين من الزمن على الأقل. كما أن قِلة ما توفره هذه المصادر من

(1) Griffith, ibid, 331.

(٢) للمزيد حول أوضاع الكنيسة الملكانية في المشرق حتى نهاية العصر العباسي الأول انظر: ابن البطريق، افتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق، ***كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق***، (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٥م)، ج٢، ص ٢٢- ٦٢. الخوري، إسحق أرملة، ***الملكيون بطريركيتهم الأنطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية***، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦هـ)، ص ٣٢- ٤٠. زيات، حبيب زيات، ***الملكيون في الإسلام***، (لبنان، المطبعة البولسية، ١٩٥٣)، ص ٧- ٣٢.

معلومات -وتحديداً عن المرحلة الممتدة من عصر الخلافة الراشدة إلى العصر العباسي الأول- خلق أكثر من مشكلة بحثية وأكثر من سؤال مفتوح سنبينه أدناه. لكن ثمة نتيجة مهمة لا يمكن تجاوزها؛ إذ من الواضح أن الرواية السريانية التي تناولت علاقة الرسول ﷺ بنصارى نجران اعتمدت على مواردها المستقلة بعيداً عن الرواية الإسلامية. فرغم اتفاق كلتا الروايتين على عقد الرسول ﷺ صلحاً مع الوفد النجراني وتزويدهم بعهد وسجل يوثّق هذا الصلح، فإن هناك أكثر من اختلاف رئيس يؤكد اعتماد كلتا الروايتين على مصادرهما ورواتهما المستقلين. ولعل ما زعمته الرواية السريانية حول استعداد نصارى نجران للقتال بجانب الرسول ﷺ، وقائمة الوفد النجراني، وصيغة الكتابين تؤكد أوجه الاختلاف بين الروايتين.

وإذا كانت إحدى الدراسات الحديثة قد حاولت إثبات صحة الرواية السريانية لكتابي الرسول ﷺ للوفد النجراني، فقد توفر لهذه الدراسة من الأدلة ما يؤكد صحة ما ذهبت إليه دراسات حديثة من أن صيغة نصي الكتابين وما ورد فيهما من شروط وبنود لا تنتمي إلى عصر الرسالة، وإلى طبيعة عهود الرسول ﷺ التي كانت لها آثارها على الواقع التاريخي كما في قضية إجلاء أهل نجران.

ولقد كان شح المصادر السريانية المهتمة بتناول أوضاع نصارى نجران منذ العصر الراشدي وحتى العصر العباسي الأول سبباً في إثارة أكثر من سؤال. فقد بدا واضحاً غياب وجهة النظر السريانية حول قرار إجلاء نصارى نجران؛ حيث كانت المصادر الإسلامية هي الرافد الوحيد لمعالجة هذه القضية. غير أن الاضطراب والاختلاف كان سمة هذه الموارد لإسلامية؛ إذ لم يتفق المؤرخون المسلمون على سبب صريح لقرار الخليفة عمر بن الخطاب إجلاء أهل نجران.

كما أن معظم الدراسات الحديثة تناولت قرار الإجلاء هذا على أنه حقيقة تاريخية أفضت إلى إنهاء الوجود النصراني– اليهودي في نجران، وهو ما كان مثار شك "الجميل" الذي رجّح عدم شمول قرار الإجلاء كل أهل الذمة بنجران. وقد تبين للباحث في ضوء

المصادر السريانية صحة ما ذهب إليه "الجميل"؛ فقد وقع أغلب الإجلاء على الطائفة المنوفيزتية التي شكل أفرادها معظم نصارى نجران، إضافة إلى أقلية تنتمي إلى الكنيسة الملكانية رحل معظم أفرادها إلى الشام على الأرجح حيث مركز ثقل هذه الكنيسة. كما رجحت الدراسة أن استمرار تعامل أهل نجران بالربا كان السبب الأقوى وراء قرار الخليفة لإجلائهم؛ إذ كان –على ما يبدو– أحد أنشطتهم الاقتصادية المزدهرة حتى ظهور الإسلام، ولكن النبي ﷺ في كتابه لوفدهم اشترط عليهم الامتناع عن الربا لمخالفته الصريحة للشريعة الإسلامية.

وحول الوجود النصراني اللاحق في نجران، فقد تبين من خلال المصادر السريانية أن أقدم إشارة تاريخية حول وجود طائفة نسطورية نصرانية في نجران تعود إلى الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، أي خلال العصر العباسي الأول. وهذا ما يدحض المزاعم التي تقول بعودة بعض نصارى ويهود نجران المنفيين بسبب ضعف السلطة المركزية؛ ذلك أن سلطة الدولة العباسية كانت لا تزال في ذروة قوتها خلال هذه المرحلة، بل إن هذه المعلومات تؤكد أن قرار الإجلاء الصادر من قبل لم يشمل الطائفة النسطورية من نصارى نجران.

وقد تبين من خلال الدراسة اتفاق المصادر السريانية مع نظيرتها من المصادر الإسلامية المحلية (التواريخ الزيدية) على وجود حقيقي للطائفة النصرانية في نجران خلال المرحلة الممتدة من القرن الثالث وحتى السابع الهجري، وقد بلغ هذا التوافق ذروته في القرن السابع الهجري بين روايتي الرحالة "ابن المجاور"، ومؤلف "تقويم الكنيسة النسطورية" المجهول، ولكن الأخير بدا أكثر وضوحاً في تقديم أرقام واضحة حول أفراد الطائفة النصرانية ورجال الدين ودور العبادة ونحوها. غير أن نتيجة مهمة لا يجب تجاوزها هنا، وهي أن معظم أبناء الطائفة النصرانية منذ العصر العباسي الأول دانوا بالولاء المذهبي للكنيسة النسطورية في العراق، في مقابل اضمحلال نفوذ المذاهب الأخرى وخاصة المذهب اليعقوبي المنوفيزتي؛ نتيجة إجلاء معظم أفراده كما أوضحت الدراسة.

ملحق الوثائق

حرص الباحث على إيراد نص الوثيقتين كما رواها مؤلف "تاريخ سعرّت" للفائدة والاطلاع.

الوثيقة الأولى

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هذا كتاب أمان من الله ورسوله، للذين أوتوا الكتاب من النصارى، من كان منهم على دين نجران، أو على شيء من نحل النصرانية. كتبه لهم مُحَمَّد بن عبد الله، رسول الله إلى الناس كافة؛ ذمّة لهم من الله ورسوله، وعهدا عهده إلى المسلمين من بعده. عليهم أن يعوه، ويعرفوه، ويؤمنوا به، ويحفظوه لهم، ليس لأحد من الولاة، ولا لذي شيعة من السلطان وغيره نقضه، ولا تعدّيه إلى غيره، ولا حمل مؤونة من المؤمنين، سوى الشروط المشروطة في هذا الكتاب. فمن حفظه ورعاه ووفى بما فيه، فهو على العهد المستقيم والوفاء بذمّة رسول الله. ومن نكثه وخالفه إلى غيره وبدّله فعليه وزره؛ وقد خان أمان الله، ونكث عهده وعصاه، وخالف رسوله، وهو عند الله من الكاذبين. لأن الذّمّة واجبة في دين الله المفترض، وعهده المؤكد. فمن لم يرع خالف حرمها. ومن خالف حرمها فلا أمانة له، وبرىء الله منه، وصالح المؤمنين. فأما السبب الذي استوجب [به] أهل النصرانية الذمة من الله ورسوله والمؤمنين، فحق لهم لازم لمن كان مسلما، وعهد مؤكّد لهم على أهل هذه الدعوة، ينبغي للمسلمين رعايته، والمعونة به، وحفظه، والمواظبة عليه، والوفاء به، إذ كان جميع أهل الملل، والكتب العتيقة، أهل عداوة لله ورسوله، وإجماع بالبغضاء والجحد للصفة المنعوتة في كتاب الله، من توكيده عليهم في حال نبيّه. وذلك يؤذن عن غشّ صدورهم، وسوء مأخذهم، وقساوة قلوبهم، بأن عملوا أوزارهم وحملوها، وكتموا ما أكده الله عليهم فيها بأن يظهروه، ولا يكتموه، ويعرفوه، ولا يجحدوه. فعملت الأمم بخلاف ما كانت الحجة به عليهم؛ فلم يرعوه حقّ رعايته، ولم يأخذوا في ذلك بالآثار المحدودة، وأجمعوا على العداوة لله ورسوله، والتأليب عليهم، والتزيين للناس بالتكذيب والحجة ألّا يكون الله أرسله إلى الناس بشيرا

ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، يبشر بالجنة من أطاعه، وينذر بالنار من عصاه. فقد حملوا من ذلك أكثر ما زيّنوا لأنفسهم من التكذيب، وزينوا للناس [من مخالفة] فعله، ودفع رسالته، وطلب الغائلة له، والأخذ عليه بالمرصاد. فهمّوا برسول الله، وأرادوا قتله، وأعانوا المشركين من قريش وغيرهم على عداوته، والمماراة في نقضه وجحوده، واستوجبوا بذلك الانخلاع من عهد الله، والخروج من ذمّته. وكان من أمرهم في يوم حنين، وبني قينقاع، وقريظة، والنضير، ورؤسائهم، ما كان من موالاتهم أعداء الله من أهل مكة على حرب رسول الله، ومظاهرتهم إياهم بالمادّة من القوة والسلاح، إعانة على رسول الله وعداوة للمؤمنين، خلا ما كان من أهل النصرانية: فلما لم يجيبوا إلى محاربة الله ورسوله، لما وصفهم الله من لين قلوبهم لأهل هذه الدعوة، ومسالمة صدورهم لأهل الإسلام. وكان فيما أثنى الله عليهم في كتابه، وما أنزله من الوحي، أن وصف اليهود وقساوة قلوبهم، ورقة قلوب أهل النصرانية إلى مودّة المؤمنين فقال: «لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانا وأنّهم لا يستكبرون الصّالحين». وذلك أنّ أناسا من النصارى، وأهل الثقة والمعرفة بدين الله، أعانونا على إظهار هذه الدعوة، وأمدّوا الله ورسوله فيما أحبّ؛ من إنذار الناس وإبلاغهم ما أرسل به.

وأتاني السيد، وعبد يشوع، وابن حجرة، وإبراهيم الراهب، وعيسى الأسقف، في أربعين راكبا من أهل نجران، ومعهم من جلّة أصحابهم، ممن كان على ملّة النصرانية في أقطار أرض العرب وأرض العجم. فعرضت أمري عليهم، ودعوتهم إلى تقويته وإظهاره والمعونة عليه. وكانت حجة الله ظاهرة عليهم. فلم ينكصوا على أعقابهم، ولم يولّوا مدبرين، وقاربوا ولبثوا، ورضوه وأرفدوا وصدّقوا، وأبدوا قولا جميلا ورأيا محمودا، وأعطوني العهود والمواثيق، على تقوية ما أتيتهم به، والردّ على من أبي وخالفه؛ وانقلبوا إلى أهل دينهم، ولم ينكثوا عهدهم، ولم يبدّلوا أمرهم، بل وفوا بما فارقوني عليه، وأتاني عنهم ما أحببت من إظهار الجميل، وحلافهم على حربهم من اليهود، والموافقة لمن كان من أهل الدعوة، على إظهار أمر الله، والقيام

بحجّته، والذبّ عن رسله. فكسّروا ما احتجّ به اليهود في تكذيبي، ومخالفة أمري وقولي. وأراد النصارى من تقوية أمري. ونصبوا لمن كرهه، وأراد تكذيبه وتغييره، ونقصه وتبديله وردّه. وبعث الكتب إليّ كلّ من كان في أقطار الأرض، من سلطان العرب من وجوه المسلمين، وأهل الدعوة بما كان من تجميل رأي النصارى لأمري، وذبّهم عن غزاة الثغور في نواحيهم، والقيام بما فارقوني عليه وقبلته، إذ كان الأساقفة والرهبان لذلك منّة قوية في الوفاء بما أعطوني من مودّتهم وأنفسهم، وأكدوا من إظهار أمري، والإعانة على ما أدعو إليه وأريد إظهاره، وأن يجتمعوا في ذلك على من أنكر، أو جحد شيئا منه، وأراد دفعه وإنكاره، وأن يأخذوا على يديه ويستدلّوه، ففعلوا واستدلّوا واجتهدوا؛ حتى أقرّ بذلك مذعنا، وأجاب إليه طائعاً أو مكرها، ودخل فيه منقادا [أو] مغلوبا، محاماة على ما كان بيني وبينهم، واستقامة على ما فارقوني عليه، وحرصا على تقوية أمري، ومظاهرتي على دعوتي. وخالفوا في وفائهم اليهود والمشركين من قريش، وغيرهم. ونزّهوا نفوسهم عن رقة المطامع التي كانت اليهود تتّبعها وتريدها؛ من الأكل للربا، وطلب الرشا، وبيع ما أخذه الله عليهم بالثمن القليل «فويل لهم ممّا كتبت أيديهم، وويل لهم ممّا يكسبون». فاستوجب اليهود ومشركو قريش وغيرهم، أن يكونوا بذلك أعداء الله ورسوله لما نووه من الغشّ، وزيّنوا لأنفسهم من العداوة، وصاروا إلى حرب عوان، مغالبين من عاداني، وصاروا بذلك أعداء الله ورسوله وصالح المؤمنين. وصار النصارى على خلاف ذلك كله، رغبة في رعاية عهدي، ومعرفة حقّي، وحفظا لما فارقوني عليه، وإعانة لمن كان من رسلي في أطراف الثغور، فاستوجبوا بذلك رأفتي ومودّتي، ووفائي لهم بما عاهدتهم عليه، وأعطيتهم من نفسي، على جميع أهل الإسلام، في شرق الأرض وغربها، وذمّتي، ما دمت وبعد وفاتي إذا أماتني الله، ما نبت الإسلام، وما ظهرت دعوة الحق والإيمان، لازم ذلك من عهدي للمؤمنين والمسلمين، ما بلّ بحر صوفة، وما جادت السماء بقطرة، والأرض بنبات، وما أضاءت نجوم السماء، وتبيّن الصبح للسائرين. ما لأحد نقضه، ولا تبديله، ولا الزيادة فيه، ولا الانتقاص منه، لأنّ الزيادة فيه تفسد عهدي، والانتقاص منه ينقض ذمّتي. ويلزمني العهد بما أعطيت من نفسي. ومن خالفني من أهل ملّتي، ومن نكث عهد الله عز

وجل وميثاقه؛ صارت عليه حجة الله، وكفى بالله شهيدا. وإنّ السبب في ذلك ثلث (كذا) نفر من أصحابه سألوا كتابا لجميع أهل النصرانية، أمانا من المسلمين، وعهدا ينجز لهم الوفاء بما عاهدوهم، وأعطيتموه إياه من نفسي، وأحببت أن أستتمّ الصنعة في الذمّة، عند كل من كانت حاله حالي، وكفّ المؤونة عني، وعن أهل دعوتي في أقطار أرض العرب، ممن انتحل اسم النصرانية وكان على مللها، وأن أجعل ذلك عهدا مرعيا، وأمرا معروفا، يمتثله المسلمون، ويأخذ به المؤمنون. فأحضرت رؤساء المسلمين، وأفاضل أصحابي، وأكدت على نفسي الذي أرادوا، وكتبت لهم كتابا، يحفظ عند أعقاب المسلمين، من كان منهم سلطانا أو غير سلطان. فإنّ على السلطان إنفاذ ما أمرت به، ليستعمل بموافقة الحق الوفاء، والتخلي إلى من [التمس] عهدي، وإنجاز الذمّة التي أعطيت من نفسي، لئلا تكون الحجة عليه مخالفة أمري. وعلى السوقة أن لا يؤذوهم، وأن يكملوا لهم العهد الذي جعلته لهم، ليدخلوا معي في أبواب الوفاء، ويكونوا لي أعوانا على الخير، الذي كافيت به من استوجب ذلك مني، وكان عونا على الدعوة، وغيظا لأهل التكذيب والتشكيك، ولئلا تكون الحجة لأحد من أهل الذمّة على أحد ممن انتحل ملّة الإسلام، مخالفة لما وضعت في هذا الكتاب؛ والوفاء لهم بما استوجبوا مني واستحقّوا، إذ كان ذلك يدعوا إلى استتمام المعروف، ويجرّ إلى مكارم الأخلاق، ويأمر بالحسنى، وينهى عن السوء، وفيه اتّباع الصّدق، وإيثار الحق إن شاء الله تعالى."

الوثيقة الثانية

"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: هذا كتاب كتبه مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، رسول الله إلى الناس كافة، بشيرا ونذيرا، ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه، ولئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل والبيان، وكان عزيزا حكيما. للسيد ابن الحارث بن كعب، ولأهل ملّته، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، معروفها ومجهولها، كتابا لهم عهدا مرعيّا، وسجلا منشورا، سنّة منه وعدلا، وذمّة

محفوظة: من رعاها كان بالإسلام متمسكا، ولما فيه من الخير مستأهلا. ومن ضيّعها ونكث العهد الذي فيها، وخالفه إلى غيره، وتعدّى فيه ما أمرت، كان لعهد الله ناكثا، ولميثاقه ناقضا، وبذمّته مستهينا، وللعنته مستوجبا، سلطانا كان أو غيره، بإعطاء العهد على نفسي، بما أعطيهم عهد الله وميثاقه، وذمّة أنبيائه وأصفيائه، وأوليائه من المؤمنين والمسلمين، في الأوّلين والآخرين، ذمتي وميثاقي وأشدّ ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثار الفريضة، والوفاء بعهد الله؛ أن

أحفظ أقاصيهم في ثغوري بخيلي ورجلي، وسلاحي وقوّتي، وأتباعي من المسلمين، في كل ناحية من نواحي العدوّ، بعيدا كان أو قريبا، سلما كان أو حربا، وأن أحمي جانبهم، وأذبّ عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السّياح، حيث كانوا من جبل، أو واد، أو مغار، أو عمران، أو سهل، أو رمل. وأن أحرس دينهم وملّتهم أين كانوا؛ من برّ أو بحر، شرقا وغربا، بما أحفظ به نفسي وخاصّتي، وأهل الإسلام من ملّتي، وأن أدخلهم في ذمّتي وميثاقي وأماني، من كل أذى ومكروه، أو مؤونة، أو تبعة. وأن أكون من ورائهم، ذابّا عنهم كلّ عدو، يريدني وإياهم بسوء، بنفسي، وأعواني، وأتباعي، وأهل ملّتي. وأنا ذو السلطنة عليهم، ولذلك يجب عليّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه. ولا يصل ذلك إليهم، حتى يصل إليّ وأصحابي الذابّين عن بيضة الإسلام معي. وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة والخراج، إلا ما طابت به أنفسهم. وليس عليهم إجبار ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا سائح عن سياحته، ولا هدم بيت من بيوت بيعهم، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين. فمن فعل ذلك فقد نكث عهد الله، وخالف رسوله، وحال عن ذمّة الله. وأن لا يحمل الرهبان والأساقفة، ولا من تعبّد منهم، أو لبس الصوف، أو توحّد في الجبال والمواضع المعتزلة عن الأمصار شيئا من الجزية أو الخراج، وأن يقتصر على غيرهم من النصارى، ممن ليس بمتعبّد ولا راهب ولا سائح على أربعة دراهم في كل سنة، أو ثوب حبرة، أو عصب اليمن، إعانة للمسلمين وقوة في بيت المال. وإن لم

يسهل الثوب عليهم طلب منهم ثمنه، ولا يقوّم ذلك عليهم إلا بما تطيب به أنفسهم. ولا تتجاوز جزية أصحاب الخراج، والعقارات، والتجارات العظيمة في البحر والأرض، واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة، وذوي الأموال الفاشية والقوة ممن ينتحل دين النصرانية، اكثر من اثني عشر درهما من الجمهور في كل عام، إذا كانوا للمواضع قاطنين وفيها مقيمين. ولا يطلب ذلك من عابر سبيل ليس من قطّان البلد، ولا أهل الاجتياز ممن لا تعرف مواضعه.

ولا خراج ولا جزية إلا [على] من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدّي ذلك على ما يؤدّيه مثله. ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها. ولا يكلّف شططا، ولا يتجاوز به حدّ أصحاب الخراج من نظرائه.

ولا يكلّف أحد من أهل الذّمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران، فإنه ليس على أهل الذّمة مباشرة القتال. وإنما أعطوا الذمة عليّ، على أن لا يكلّفوا ذلك. وأن يكون المسلمون ذبّابا عنهم، وجوارا من دونهم. ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذين يلقون فيه عدوهم، بقوة وسلاح أو خيل، إلّا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم. فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به، حمد عليه وعرف له، وكوفئ به، ولا يجبر أحد ممن كان على ملّة النصرانية كرها على الإسلام. «ولا تجادلوا [أهل الكتاب] إلا بالتي هي أحسن». ويخفض لهم جناح الرحمة ويكفّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأين كانوا من البلاد. وإن أجرم أحد من النصارى، أو جني جناية، فعلى المسلمين نصره، والمنع والذّب عنه، والغرم عن جريرته، والدخول في الصلح بينه وبين من جنى عليه. فإما منّ عليه، أو يفادى به. ولا يرفضوا، ولا يخذلوا، ولا يتركوا هملا، لأني أعطيتهم عهد الله على أنّ لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين. وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذبّ عن الحرمة، واستوجبوا أن يذبّ عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين

شركاء فيما لهم، وفيما عليهم. ولا يحملوا من النكاح شططا لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضارّوا في ذلك إن منعوا خاطبا وأبوا تزويجا، لأنّ ذلك لا يكون إلّا بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم، إن أحبّوه ورضوا به. إذا صارت النصرانية عند المسلم، فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك. فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها، فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين.

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بيعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله موهبة لهم، ومنّة لله ورسوله عليهم.

ولهم أن لا يلزم أحد منهم، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوهم، رسولا، أو دليلا، أو عونا، أو متخبرا، ولا شيئا مما يساس به الحرب. فمن فعل ذلك بأحد منهم، كان ظالما لله ولرسوله عاصيا، من ذمّته متخليا. ولا يسعه في إيمانه إلّا الوفاء بهذه الشرائط التي شرطها مُحَّد بن عبد الله، رسول الله لأهل ملّة النصرانية، واشترط عليهم أمورا يجب عليهم في دينهم التمسّك والوفاء بما عاهدهم عليه. منها: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيبا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدوّ للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يوفدوا أحدا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم. وأن يقروا من نزل عليهم من المسلمين ثلثة أيام بلياليها في أنفسهم ودوابّهم، حيث كانوا وحيث مالوا، يبذلون لهم القرى الذي منه يأكلون، ولا يكلّفوا سوى ذلك؛ فيحملوا الأذى عليهم والمكروه. وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم، أن يأووهم ويرفدوهم

ويواسوهم فيما يعيشوا به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدوّ على عوراتهم، ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم.

فمن نكث شيئا من هذه الشرائط وتعدّاها إلى غيرها فقد برىء من ذمّة الله وذمّة رسوله. وعليهم العهود والمواثيق التي أخذت عن الرهبان وأخذتها، وما أخذ كل نبي على أمته من الأمان والوفاء لهم وحفظهم به، ولا ينقض ذلك ولا يغيّر حتى تقوم الساعة إن شاء الله.

وشهد هذا الكتاب الذي كتبه مُحَمَّد بن عبد الله، بينه وبين النصارى الذين اشترط عليهم، وكتب هذا العهد لهم: عتيق بن أبي قحافة، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، أبو ذرّ، أبو الدرداء، أبو هريرة، عبد الله بن مسعود، العباس بن عبد المطلب، الفضل بن العباس، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله سعد بن معاذ، سعد بن عبادة، ثمامة بن قيس، زيد بن ثابت، ولده عبد الله [؟]، حرقوص بن زهير، زيد بن أرقم، أسامة بن زيد، عمار بن مظعون، مصعب بن جبير، أبو الغالية (كذا)، عبد الله بن عمرو ابن العاص، أبو حذيفة، خوات بن جبير، هاشم بن عتبة، عبد الله ابن خفاف، كعب بن مالك، حسان بن ثابت، جعفر بن أبي طالب، وكتب معاوية بن أبي سفيان."